الخليل إبراهيم
عليه السلام
في الكتاب والسنة دعوته وهجراته
ورد شبه المستشرقين

إعداد

عبدالله بن علي محمد ابو سيف

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

من فرع الكتاب والسنة – قسم الدراسات العليا

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

بجامعة الملك عبد العزيز – فرع مكة المكرمة

بإشراف

الأستاذ الدكتور / مصطفى أمين التازي

١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

الاهـــداء

الى والدى الكريمين الذين كانا سببا وجودى فى هذه الحياة والذين انعما على من فضلهما الشىء الكثير وكانا سبب تربيتى التربية الاسلامية، وانتى لا أطمع مهما حاولت فى رد بعض مالهما على من جميل ولا أملك لهما الا الدعاء ان يمد الله تعالى فى عمر من بقى منهما وان يجعله ممن طال عمره وحسن عمله ويختم له بالصالحات ويوفقه لما يحب ويرضى وان يتغمد من مات منهما برحمته ويسكنه فسيح جناته وان يجزيهما عنى خير الجزاء فى الدارين .. انه سميع مجيب .

ابنكما

شكـــر وتقد يـــر

احمد الله سبحانه وتعالى على اعانته وتيسيره ،واشكره تبارك وتعالى على عظيم امتنانه وتوفيقه .

واصلى واسلم على سيد نا ونبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

ثم اتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة المشرف الدكتور : مصطفى امـــين التازى الذى منحنى من وقته وجهده وافسح لى فى بيته ،واعاننى بابـــداء ملاحظاته القيمة وتوجيهاته الطيبة مما كان له اثر طيب فى اخراج هـــذه الرسالـــة .

كما اتوجه بشكرى العميق لكل من ساعدنى ومد يد العون لى فـــى انجاز هذا العمل فلهم جميعا منى عظيم الشكر والامتنان وأسأل اللــــه تعالى ان يجزيهم عنى خير الجزاء .

ولا يفوتنى ان اشيد فى رسالتى هذه بفضيلة الشيخ الدكتور محمـــد امين المصرى ـ تغمده الله بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته على ماقام بـــه من جهد طيب مبارك فى انشاء قسم الدراسات العليا بمهبط الوحى .

واسأله تعالى ان يجعل ذلك من حسناته فى الميزان .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبـــة

الحمد لله الذى ظهرت ادلة وحدانيته فيما خلق فأذعن له جميـــع خلقه بالطاعة والخضوع . قال تعالى :" ولله يسجد من فى السمـــــوات والارض طوعا وكرها وظللهم بالغدو والاصال".[1]

فكل مخلوق ينبئ عن وجود الله تبارك وتعالى ووحدانيته ،كمـــا قال القائل :

فى كل شئ له آية .:. تدل على انه الواحد .

غير ان العقل البشرى عاجز عن ادراك الطريق الصحيح الذى يوصله الى رضاء ربه تبارك وتعالى كما انه لا يهتدى الى معرفة صفات الله جـــل وعلا مما يجب له او يستحيل عليه وان طريق العبادة ،يضل العقل وحـــده فيه لذلك ارسل الله تعالى رسله للناس مبشرين ومنذرين ومبينين لهــــم ما يتصف به من كمالات وما يستحيل عليه من نقائص ،ويوضحون لهم شرائعــــه كى ينتظم مسارهم فى معاشهم ومعادهم ،ولئلا يكون للناس على اللــــه حجة بعد الرسل .

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد فـى الاولى والاخرة ،واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم الذى كان خاتمة حجج ربه من رسله على خلقه .

اما بعد : فقد اقتضت سنة الله تعالى فى خلقه انه منذ ان ظهـــر الحق على مسرح هذا الوجود اقترن معه وجود الاعداء الالداء والخصـــوم المناوئين . قال تعالى :" وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطـــــــين

---

(١) الرعد : ١٥ .

الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا[(١)] وقال تعالــى:
" وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين[(٢)] ،وطريق الدعوة شــاق
وعر ،تحفه المخاطر ،ويحيط به صنوف الايذاء ،ولا بد فيه من الصبر الــذى
تتحطم على عتبته كل تلك العقبات كما قال العبد الصالح لقمان لابنــه :
" وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور[(٣)] .

فبالصبر ينال المرء - باذن الله تعالى - ما يريد .

وهذا الطريق هو طريق الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - وقد كا ن
ابو الانبياء خليل الرحمن ابراهيم - عليه السلام - الداعية الكامل فــى
هذا الميدان ،والمثل الاعلى في الصبر على ايذاء الاعداء في سبيــل
تبليغ دعوة الله تعالى ،فانه لم يتعرض نبي من الانبياء قبله ولا بعده ممــن
ذكرهم الله تعالى لنا في القرآن للاحراق بالنار سوى خليل اللــه
ابراهيم عليه السلام ،كما خص بأن يكون جميع من جاء بعده من الانبيــاء
من نسله وجميع ما انزل من الكتب بعده على ابنائه . قال تعالــى :
"وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب"[(٤)] .

---

(١) الانعام : ١١٢ .
(٢) الفرقان : ٣١ .
(٣) لقمان : ١٧ .
(٤) العنكبوت : ٢٧ .

المقدمــــة

وتشتمل على مبحثين :

المبحث الاول : في بيان السبب لاختياري موضوع الرسالة .

المبحث الثاني : في بيان منهجي في كتابة هذه الرسالة .

المبحث الاول : في سبب اختياري لموضوع الرسالة .

لقد كان الباعث لي على اختياري الكتابة في هذا الموضوع وهـــو "الخليل ابراهيم عليه السلام" ان الناس عادة يميلون الى قصص الانبيـــاء السابقين مع اممهم ليقفوا منها على مواطن العبر والعظات فيعتـــبروا بعاقبة المؤمنين والكفار ويتخذوا لانفسهم سبيل النجاة والفوز والفـــلاح وليعتبروا بحال اولئك الصفوة المختارة من اولئك الانبياء الاطهار - عليهم الصلاة والسلام - وكيف كانوا مع عظيم تقواهم لربهم تعترضهم العقبـــات والنكبات فيقابلونها بالصبر الجميل احتسابا لما عند الله تعالـــــى فتسموا نفوسهم وتصفوا ارواحهم عندما تضيق ذرعا بأعداء الله . قـــال تعالى : "لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب"[1] ،وانما الذي حـــدا بنا الى اختيار ابراهيم عليه السلام بالذات من بين سائر الانبيــــاء هو ان ابراهيم عليه السلام خص من بين سائر الانبياء بمنزلة خـاصـــة عند المسلمين فقد امر نبينا صلى الله عليه وسلم باتباع ملته . قال تعالى : "ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا"[2] ،ولانه الذي سمانا المسلمين من قبـــل

---

(١) يوسف : ١١١ .

(٢) النحل : ١٢٣ .

قال تعالى :" ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل"[1] ، ولانه بانى الكعبة المشرفة قبلة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، ولانه الذى اقترن اسمه فى التحيات باسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى جميع الصلوات ، ولان نبينا صلى الله عليه وسلم كما جاء فى الصحيح : كان اشبه ولده به ، ومن ثم سمى نبينا صلى الله عليه وسلم آخر ولده بابراهيم ولما ان فى حياة الخليل عليه السلام مزيدا من الابتلاءات منها : القاؤه فى النار ، وامره بذبح ولده اسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، وقد كان ازاء هذه وغيرها من الابتلاءات كالطود الاشم الذى تتحطم على صخرته كل الصدمات فكان مثله كما قال القائل :

كناطح صخرة يوما ليوهنها .·. فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

المبحث الثانى : فى بيان منهجى فى كتابة هذه الرسالة .

كان منهجى فى هذه الرسالة اننى اعتمدت فيها على كتاب الله تعالى والسنة الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا استشهد الا بآية من كتاب الله تعالى او بحديث ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدت هذه الرسالة عن كل حديث ضعيف او موضوع مهما اشتمل على المعانى التى تغرى الكاتب بكتابتها والقارئ بقراءتها ، فان كان الحديث فى الصحيحين او احدهما اكتفيت ببيان موضعه ، وان كان فى غير الصحيحين بينت مخرجه ، فاذا ترجح عندى صحته اثبته وان ترجح عندى ضعفه رددته معتمدا فى تصحيحه او تضعيفه على ماذكره علماء هذا الشأن من اهل الجرح

---

(١) الحج : ٧٨ .

والتعديل ، ثم هناك من الاخبار ماله علاقة وطيدة بموضوع البحث غير انى لم اقف له على شاهد يؤيده من كتاب الله تعالى او صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان كان مما لا ينكره العقل وكان المقام يستدعيه فاننى اذكره ، اما مايستنكره العقل ولا يستدعيه المقام فاننى استغنى عن ذكره . وبذلك تكون الرسالة خالية من كل خبر ينافى العقل ولا يتطلبه المقام ، واذا كان الخبر منقولا عن اهل التفسير او اهل الاخبار فى كتبهم بينت موضعه وعزوته الى قائله .

وقد اشتملت هذه الرسالة على مقدمة وسبعة ابواب وخاتمة . اما المقدمة : فقد بينت فيها سبب اختيارى الكتابة فى موضوع الرسالة ، كما بينت فيها منهجى الذى انتهجته فى كتابتها .

واما الباب الاول : ففى بيان حياة خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام - وهو يشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الاول : فى بيان نسبه والاختلاف فى اسم ابيه .

الفصل الثانى : فى بيان مولده .

الفصل الثالث : فى نشأته .

واما الباب الثانى : ففى بيان دعوته واساليبه فيها ، وهو يشتمل على اربعة فصول :

الفصل الاول : فى بيان دعوته لابيه .

الفصل الثانى : فى بيان دعوته لابيه وقومه من اهل بابل .

الفصل الثالث : فى بيان مناظرته لعدو الله النمروذ لعنه الله .

الفصل الرابع : فى بيان دعوته لاهل حران .

واما الباب الثالث : ففى بيان هجراته عليه السلام ، ويندرج تحته

ثلاثة فصول :

الفصل الاول : فى بيان هجرته من بابل الى ارض الشام .

الفصل الثانى : فى خروجه الى مصر وقصة زوجه مع جبار مصر .

الفصل الثالث : فى سفراته الى مكة المكرمة .

واما الباب الرابع : ففى بيان ابتلاءاته عليه السلام ، ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الاول : فى ابتلاء الله تعالى له بالكلمات .

الفصل الثانى : فى ابتلاء الله تعالى له بالاحراق بالنار .

الفصل الثالث : فى ابتلاء الله تعالى له بذبح ابنه ، والقول الراجح فى تعيين الذبيح .

واما الباب الخامس : ففى بيان صفات ابراهيم ـ عليه السلام ـ وثناء الله عليه .

واما الباب السادس : ففى ذكر اولاده ووفاته عليه السلام .

واما الباب السابع : ففى بيان الشبه الواردة على سيدنا ابراهيم ـ عليه السلام ـ وردها .

واما الخاتمة : فقد جعلتها لتلخيص اهم الافكار التى وردت فى البحث .

الباب الاول

فــــى الكلام عن حياة ابراهيم عليه الصلاة والسلام

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الاول : فى بيان نسبه والاختلاف فى اسم ابيه .

الفصل الثانى : فى بيان مولـــده .

الفصل الثالث: فى نشأتـــه .

الباب الاول

في الكلام عن حياة ابراهيم عليه الصلاة والسلام

الفصــل الاول

في بيان نسبه والاختلاف في اسم ابيــه

اختلف العلماء في نسب ابراهيم عليه السلام على اقوال :

فمنهم من ذهب الى انه :

" ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح "[1] .

ومنهم من ذهب الى انه :

" ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن غابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام "[2] .

ومنهم من ذهب الى انه :

" ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام "[3] .

ومنهم من ذهب الى انه :

---

(١) " تاريخ الرسل والملوك " لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ص ٢٣٣) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م دار المعارف بمصر .

(٢) " الكامل في التاريخ " لعز الدين ابن الاثير (ص ٩٤) ـ دار صـــادر ببيروت ـ ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

(٣) " البداية والنهاية " لابن كثير جـ١ ، ص ١٣٩ ـ الطبعة الاولـــى ١٣٥١هـ/١٩٣٢م ـ مطبعة السعادة بمصر .

" ابراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروخ او ساروغ بن عابر او عنبر بن شالخ او شليخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح" [1].

ومنهم من ذهب الى انه :

" ابراهيم بن تارح بن ناهور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح" [2].

ومنهم من ذهب الى انه :

" ابراهام بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح" [3].

ومنهم من ذهب الى انه :

" ابرام بن تارح بن ناهور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح" [4].

وبالمقارنة بين هذه الاقوال السبعة نرى ان الخلاف ينحصر فيما يلي :

(١) لفظة " ابراهيم" اتفقت جميع كتب التاريخ والقصص على حكايتها بلفظها كما هي ، بينما ذكرها اصحاب دائرة المعارف الاسلامية بالالف بعد الهاء بدلا من الياء فقالوا " ابراهام" وذكرتها التوراة

---

(١) "تاريخ ابن خلدون" (٢ : ٥٠) ، تصحيح وضبط علال الفاسي وعبد العزيز بن ادريس ـ مطبعة النهضة بمصر ـ ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م .

(٢) "قصص الانبياء" المسمى " بالعرائس" لاحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي (ص ٥٧) .

(٣) "دائرة المعارف الاسلامية" لفنسك وجماعة من الاوربيين ـ المجلد الاول (ص ٢٥) ـ الطبعة الثانية ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ـ نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى واحمد الشنتناوى وابراهيم زكى خورشيد وعبد الحميد يونس .

(٤) الكتاب المقدس فى العهد القديم ـ المجلد الاول ـ الاصحاح =

بحذف الهاء والياء فقالت " ابرام" .

(٢) لفظة " تارخ" انفرد ابن كثير فى تاريخه بزيادة حرف السين فقال "تسارخ" وذكرها الطبرى وابن الاثير فى تاريخيهما وصاحب دائرة المعارف الاسلامية بلفظ " تارخ" بدون سين . بينما ذكرها ابن خلدون فى تاريخه والثعلبى فى عرائسه والتوراة بالحاء المهملة فقالوا " تارح" .

(٣) لفظة " ناحور" اتفق ابن جرير وابن كثير وابن خلدون فى تواريخهم والثعلبى فى عرائسه واصحاب دائرة المعارف الاسلامية والتوراة على انها بالحاء المهملة فقالوا " ناحور" بينما انفرد بذكرها ابن الاثير فى تاريخه بالخاء المعجمة فقال " ناخور" .

(٤) لفظة "ساروغ" اتفق ابن جرير وابن الاثير وابن كثير فى تواريخهم والثعلبى فى عرائسه واصحاب دائرة المعارف الاسلامية على ذكرها بالغين المعجمة فى آخره ومد السين فى اوله فقالوا " ساروغ" بينما ذكرها ابن خلدون فى تاريخه بروايتين بلفظ " ساروخ" بالخاء المعجمة فى آخره مع المد فى اوله ،وبلفظ " ساروغ" موافقا بذلك كتب التاريخ السالفة الذكر،وذكرتها التوراة بالجيم المعجمة فى آخره وبدون مد فى اوله فقالت " سروج" .

(٥) لفظة "ارغو" ذكرها ابن جرير وابن الاثير فى تاريخيهما والثعلبى فى عرائسه واصحاب دائرة المعارف الاسلامية بالهمزة فى اوله والغين المعجمة فقالوا " ارغو" بينما ذكرها ابن كثير فى تاريخه بالعين المهملة ومد اوله فقال " راغو" وذكرتها التوراة بالعين

= الحادى عشر من سفر التكوين .

المهملة بدون مد في اوله فقالت " رعو"، ولم يذكرها ابن خلدون في تاريخه .

(٦) لفظة "فالغ" ذكرها ابن جرير وابن الاثير وابن كثير في تواريخهم والثعلبي في عرائسه واصحاب دائرة المعارف الاسلامية بالغين المعجمة في آخره ومد اوله فقالوا " فالغ" بينما ذكرتها التوراة بالجيم المعجمة في آخره بدلا من الغين ومد اوله فقالت " فالج" ولم يذكرها ابن خلدون في تاريخه .

(٧) لفظة " عابر" ذكرها ابن جرير وابن كثير في تاريخيهما والثعلبي في عرائسه واصحاب دائرة المعارف الاسلامية والتوراة وابن خلدون في احدى الروايتين عنه في تاريخه بالعين المهملة في اوله مع المد فقالوا " عابر" بينما ذكرها ابن الاثير في تاريخه بالغين المعجمة في اوله مع المد فقال " غابر"، وذكرها ابن خلدون في الرواية الاخرى عنه في تاريخه بالعين المهملة في اوله وبزيادة نون بدون مد فقال " عنبر" .

(٨) لفظة " شالخ" ذكرها ابن جرير وابن الاثير في تاريخيهما وابن خلدون في احدى الروايتين عنه واصحاب دائرة المعارف الاسلامية بالخاء المعجمة في آخره ومد اوله فقالوا " شالخ" بينما ذكرها ابن كثير في تاريخه والثعلبي في عرائسه والتوراة بالحاء المهملة ومد اوله فقالوا " شالح" وذكرها ابن خلدون في الرواية الاخرى في تاريخه بالتصغير فقال " شليخ" .

(٩) لفظة " قينان" زاد ابن جرير وابن الاثير في تاريخيهما والثعلبي في عرائسه واصحاب دائرة المعارف الاسلامية لفظة قينان في

نسب ابراهيم عليه السلام بين شالخ وارفخشذ بينما لم يذكرها ابن كثير وابن خلدون فى تاريخيهما ولا التوراة .

(١٠) لفظة " ارفخشذ " ذكرها ابن جرير وابن الاثير وابن كثير وابن خلدون فى تواريخهم والثعلبى فى عرائسه واصحاب دائرة المعارف الاسلامية بالخاء المعجمة بعد الفاء بعدها شين معجمة بدون مد ثم ذال معجمة فى آخره فقالوا " ارفخشذ " .

بينما ذكرتها التوراة بالكاف بدلا من الخاء المعجمة ثم شين معجمة بعدها دال مهملة فى آخره مع المد قبل الاخر فقالت " ارفكشاد " .

ونتيجة لذلك نرى ان الخلاف ينحصر فى الامور الاتية :

اولا : الاختلاف فى بعض الحروف بين الاعجام والاهمال او وضع حرف مكان حرف .

ثانيا : زيادة بعض الحروف او نقصانها وحذفها - والمد فى بعض الكلمات والقصر فى بعضها الاخر .

ثالثا : زيادة بعض الاسماء فى نسب الخليل ابراهيم عليه السلام .

رابعا : ان بعض الاسماء جاءت مكبرة بينما جاءت فى بعضها الاخر مصغرة .

ويمكن ان يجاب عن هذا بأن هذه الاسماء لما كانت بلغة اعجمية فان عند ترجمتها الى اللغة العربية يمكن وقوع الاختلاف بين المترجمين بالاعجام والاهمال او بالابدال وهو امر معروف ومشاهد فى النقل بين اللغات عند الترجمة . والاجابة عن زيادة بعض الاسماء فى نسب الخليل ابراهيم عليه السلام نقول : ان من زاد عنده زيادة علم ليست عند من لم يذكرها ومن المعروف ان من علم حجة على من لم يعلم ، واما ما جاء فى تصغير بعض الاسماء عند بعض اهل العلم فليس فى ذلك غرابة فقد يسمى

المرء باسم مصغر فرواه حسب ماعلمه بينما نقله الاخر مكبرا حسب ماوصل اليه علمه . والله اعلم .

الاختلاف في اسم ابى ابراهيم عليه السلام

اختلف اهل العلم فى اسم ابى ابراهيم - عليه السلام - فافترقوا الى ثلاثة اقوال :

القول الاول :

ان اسم ابيه "آزر" وذهب الى هذا القول ابن عباس والحسن البصرى والسدى ومحمد ابن اسحاق وغيرهم واستصوبه ابن جرير في تفسيره [١].

وقد ايدوا ماذهبوا اليه بما يلى :

(١) بما جاء مصرحا به فى القرآن الكريم من ان اباه آزر . قال تعالى : " واذ قال ابراهيم لابيه آزر "[٢].

(٢) بما جاء مصرحا به فى الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه حيث قال : حدثنا اسماعيل ابن عبدالله قال اخبرنى اخى عبدالحميد عن ابن ابى ذئب عن سعيد المقبرى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ج١١ ص٤٦٦ - ٤٦٨ تحقيق محمد محمود شاكر - دار المعارف بمصر .
تفسير البحر المحيط لابى حيان ج٤ ص١٦٣ مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الاولى ١٣٢٨هـ .
تفسير روح المعانى للالوسى ج٧ ص١٩٤ المطبعة المنيرية فى دمشق .

(٢) سورة الانعام : ٧٤ .

عليه وسلم قال : " يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم اقل لك لا تعصنى ؟ فيقول ابوه : فاليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم : يارب انك وعد تنى ان لا تخزينى يوم يبعثون فأى خزى اخزى من ابى الابعد ؟ فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال يا ابراهيم : ماتحت رجليك ؟ فينظر فاذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار"[١].

وقد ايد هذا القول ايضا الفخر الرازى - رحمه الله - فى تفسيره الكبير حيث قال عند تفسيره هذه الاية الكريمة :

" والدليل القوى على صحة ان الامر على مايدل عليه ظاهر هذه الاية " واذ قال ابراهيم لابيه آزر" ان اليهود والنصارى والمشركين كانوا فى غاية الحرص على تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام واظهار بغضه فلو كان هذا النسب كذبا لامتنع فى العادة سكوتهم عن تكذيبه وحيث لم يكذبوه علمنا ان هذا النسب صحيح والله اعلم"[٢].

القول الثانى :

ان اسم ابى ابراهيم هو تارح وليس بآزر وذهب الى هذا القول جماعة من اهل النسب منهم ابن عباس ومجاهد ومقاتل وسعيد بن المسيب

---

(١) صحيح البخارى .. " كتاب احاديث الانبياء" عليهم السلام" جـ٤ ، ص١١١ مطبعة الفجالة الجديدة ١٣٧٦هـ .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ١٣ ، ص٣٨ - الطبعة الاولى ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م - المطبعة البهية المصرية .

(٣) انظر ... [illegible] ص ٢٨ - ٢٩
(٤)

والزجاج والضحاك والشيعة[١] .

وايدوا ذلك بأن آزر كان كافرا ولا ينبغى ان يكون فى آباء الانبياء كافـــــرا .

القول الثالث :

يرى الجمع بين القولين السابقين ، فيقول : انه لا مانع من ان يكـون ابو ابراهيم يسمى آزر كما صرح به القرآن الكريم ، ويلقب بـ " تارح " كمــــا صرح بذلك بعض اهل النسب ، ومن المتعارف عليه ان الشخص الواحـــــد قد يكون له اسم ولقب ويعرف بكل منهما وبذلك نجمع بين القولين ونصحـح كلا من النقلين ، وممن ذهب الى ذلك محمد بن اسحاق والكلبى والضحاك وابن جرير فى تفسيره[٢] .

وذهب يوسف الدجوى فى دائرة المعارف الاسلامية الى وجـــــه آخر فى الجمع بينهما فقال :

" يجوز ان يكون تارخ اسما له وآزر لقبا ، ويكون القرآن الكريم قـــد ذكره بلقبه اشارة الى الرسوخ فى العلم به وبقصته ، ويجوز ان يكـــــون آزر قد ذكر للذم وهو وصف اجرى مجرى العلم ومعناه فى اللغة العبريـــة على مايقول بعض العلماء " المخطىء " فيكون قد ذكر للذم والتحقــــير ويقرب من هذا جعله اسما للخادم كما فى التوراة ولعله يطلق فى لغتهـم

---

(١) تفسير البحر المحيط لابى حيان جـ٤ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .
تفسير روح المعانى للالوسى جـ٧ ، ص ١٩٤ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى (٧ : ٢٢) مطبعة دار الكتـــــب المصرية بالقاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .
تفسير ابن جرير الطبرى (١١ : ٤٦٩) تحقيق محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر .

على الخادم اطلاق الاوصاف لا اطلاق الاعلام فكأنه يقول الحقير بسبب خدمته للاصنـــام[1] .

الرأى المختار :

والقول المختار الذى اراه واميل اليه هو قول من ذهب الى ان اسم ابى ابراهيم آزر ذلك ان القرآن الكريم قد صرح باسمه ، وصرح بانه ابـــو ابراهيم ، وحمل ذلك على ان المراد به عمه خلاف الظاهر ولا نذهب اليـــه الا بدليل صحيح ، ولا وجه لاستبعاد الكفر من بعض آباء الانبياء ـ عليهـــم السلام ـ وماذهب اليه بعضهم من ان آزر لقبه وان تارح اســـــمه وتلبيسه ليجمع بين القولين قلنا هو مجرد احتمال وليس له دليل يؤيـــده الا مجرد الحدس والتخمين .

واذا فنحن نأخذ بظاهر القرآن وظاهر حديث البخارى الصحيـــح حتى يثبت لنا خلاف ذلك والله اعلم .

* * *

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية لغنسك وجماعته الاوربيين ـ المجلـــــد الاول ص ٢٥ .

الفصل الثانـــى

فى بيان مولده عليه الســـلام

اين ولد ابراهيم عليه السلام ؟

اختلف العلماء فى المكان الذى ولد به ابراهيم عليه السلام على اقوال :

فقيل : ولد بالسوس من ارض الاهواز .[1]

وقيل : ولد بـ " كوثى " من ارض السواد .[2]

وقيل : ولد بـ " حران " من ارض الكلدانيين .[3]

وقيل : ولد بـ " الوركاء " من ناحية الزوابى وحدود كسكر .[4]

وقيل : ولد بـ " بابل " من ارض الكلدانيين .[5]

وقيل : ولد فى بلدة " اور " من ارض بابل .[6]

نقل هذه الاقوال ابن جرير الطبرى وابن الاثير الجزرى وابـــن كثير وابن خلدون فى تواريخهم ، وذكر القول الاخير محمد فريد وجـــدى فى دائرة : معارف القرن الرابع عشر " العشرين " ، ولم يذكروا جميعـــا

---

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ تاريخ الطبرى (١ : ٢٣٣) تحقيق محمد ابو الفضـــل ابراهيم ـ الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ـ دار المعارف بمصر .

١ ، ٢ ، ٥ تاريخ ابن كثير (١ : ١٤٠) الطبعة الاولى ١٣٥١هـ/١٩٣٢م ـ مطبعة السعادة ـ مصر .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ تاريخ ابن الاثير (١ : ٩٤) دار صادر ـ بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

٢ ، ٣ ، ٥ تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٥) .

٦ دائرة معارف القرن الرابع عشر " العشرين " لمحمد فريد وجدى ـ المجلد الاول ص ١٠ ـ الطبعة الثانية ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م مطبعة دائرة المعـــارف بمصـــر .

لقول من هذه الاقوال مايؤيده .

والقول المعتمد عند اهل العلم انه ولد بمدينة بابل من ارض الكلدانيين وهو الذى صححه ابن كثير فى كتابه "البداية والنهاية" حيث قال :

" وهذا هو الصحيح المشهور عند اهل السير والتواريخ والاخبار كما نقل تصحيح ذلك عن الحافظ ابن عساكر فى تاريخه حيث قال : والصحيح انه ولد ببابل ، وهناك من ذهب الى انه ولد بغوطة دمشق فى قرية يقال لها برزة فى جبل يقال له قاسيون ، وقد روى هذا القول الحافظ ابن عساكر فى تاريخه من طريق هشام بن عمار عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس وايدوا ماذهبوا اليه بأن هناك عند برزة مقاما يسمى مقام ابراهيم ، ورد هذا القول بأن المقام الذى ينسب هناك لابراهيم انما نسب اليه لانه صلى فيه[1] او عسكر جيشه فيه حين ذهب الى ذلك المكان معينا لابن اخيه لوط ـ عليه السلام ـ ومناصرا له حيث تسلط قوم من الجبارين عليه وهو ذاهب الى ارض سدوم فأسروه واخذوا منه امواله واستاقوا انعامه فلما بلغ ابراهيم ذلك خرج فى اثرهم مع من آمن معه حتى وصل الى شرقى دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة فانفض الاعداء وخلص لوطا منهم ثم رجع لوط ـ عليه السلام ـ بأهله وامواله وانعامه الى سدوم[2] .

متى ولد ابراهيم عليه السلام ؟

لا خلاف بين اهل العلم والاخبار فى انه ولد عليه السلام فى عهد

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١ : ١٤٠) .

(٢) تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٦) .

عدو الله النمرود بن كنعان[1] ، التى وقعت مناظرة ابراهيم له غير انهم لـم يعينوا لنا الزمن الذى كان فيه النمرود وابراهيم اللهم الا ماذكره محمـد فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين من ان مولد ابراهيم كـان سنة ٢٠٠٠ الفين ق ٠م[2] غير انه لا يمكن ان يعول عليه فى هذا التحديد لانه لم يدلل على ماقاله ولم يذكر لنا المصدر الذى استقى منه ذلـك والعلم عند الله تعالى .

* * *

(١) تاريخ الطبرى (١ : ٢٣٣) ، تاريخ ابن كثير (١ : ١٧٣) ، تاريـخ ابن الاثير (١ : ٩٤) .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى (١ : ١٠) .

الفصل الثالث

فى بيان نشأة ابراهيم عليه الصلاة والسلام

ولد ابراهيم - عليه السلام - بمدينة بابل من ارض الكلدانيين على الصحيح، ونشأ - عليه السلام - فى اسرة متوسطة الحال فليست بالغنية المترفة ولا بالفقيرة المدقعة، وشب يترعرع فى مجتمع توالت عليه فيه احسن شديدة وفتن عظيمة فلقد عاش الخليل - عليه السلام - غلاما فى وسط مجتمع وثنى كافر لا يعترف بألوهية الخالق وافراد العبادة له، يسوده الجهل وتعمه الخرافات فى عصر ذلكم الطاغية الجبار الملك الظالم الفاجر النمرود، فكانت البيئة فى عصره يخيم عليها الظلم من جهة ويسودها الجهل والطغيان من جهة اخرى .

شب ابراهيم عليه السلام وسط ذلكم المجتمع الرهيب بين اسرة كافرة وتحت رعاية اب قيم على الاصنام ينحتها ويتاجر بها " فكان يدفع بها الى ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم قائلا للناس عنها : من يشترى مايضره ولا ينفعه"[1]، لقد ادرك ابراهيم عليه السلام مدى حقارة هذه المعبودات منذ نعومة اظفاره وانها من سفه العقول وبنات الافكار المنحطة.

كل ذلك الوعى كان بفضل الله تبارك وتعالى الذى حفظه منذ صغره من الانزلاق والزيغ والانحراف، فكان مائلا عن كل ماسوى الله تعالى، فقد حفظه ربه تبارك وتعالى ووجهه لما يرضيه، وذلك بمثابة الارهاصات لما يستقبله من مسئوليات جسام كى يصبح ابا للانبياء وخليلا لله تعالى .

ومع انه عليه السلام - عاش وسط ذلكم المحيط الذى يعج بالاهواء

---

(١) تاريخ ابن الاثير (١ : ٩٦) .

الزائفة لكنه - عليه السلام - لم يعرف عنه قط، ولم يؤثر عنه ابدا الميل الى هذه الترهات او عبادة تلكم المخلوقات، وقد كان محاطا بالاساطير والاوهام والجاهلية الجهلاء في اشد انحدارها وانحطاط تفكيرها ونهاية غباشها واردأ مظاهرها ومع ذلك كان موقفه منها موقف الماقت لها الساخط عليها، الساخر بها، الرحيم المعطوف على هؤلاء من تفريطهم في حق انفسهم . قال تعالى : " ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين[1] ، سبحانك يا الهي يامن اخرجت من الاشواك ورودا ، سبحانك يا الهي يامن أخرجت من صلب آزر الكافر ابراهيم - عليه السلام - ابا الانبياء وخليل الله تعالى .

لقد نشأ ابراهيم - عليه السلام - امة وحده ، فشب كريم النفس سليم الفؤاد ، صافي الذهن من الترهات عميق التفكير، ثاقب النظرة مبتعدا عن امراض واسقام المجتمع الكافر - مجانبا مباينا لهذه السفاسف يقف منها موقف المحقر لشأنها ، المستهزئ بها غير مكترث بما يزعمه عبادها من اصابتها بالنفع او الضر لعابديها ، لقد انهال عليها وحطمها فلم تسك تدفع عن نفسها ضرا اصابها فضلا عن ان تدفعه عن غيرها ، " وكان ابراهيم - عليه السلام - من قبل حينما يرجع بها وقد اصابها الكساد من تحذيره للناس عن شرائها وقد يعمتد بها ابوه معه ليبيعها يرجع بها وينكسها في الماء استهزاء بها ويقول لها : اشربي حتى شاع عنه في مجتمعه وفشا بينهم ان ابراهيم يحتقر معبوداتهم ويزدريها"[2] .

---

(١) الانبياء : ٥١ .

(٢) بتصرف من تاريخ ابن الاثير (١ : ٩٦) .

وما زال هذا شأنه حتى اختاره الله تعالى لرسالته وبعثه لامتـــــه محذرا لهم من عبادة اصنامهم وعكوفهم على اوثانهم ومرشدا لهم الـــــى عبادة خالقهم وربهم على ماسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله في بيـــــان دعوتـــــه .

* * *
* *
*

الباب الثانى

فى بيان دعوات ابراهيم عليه السلام

ويشتمل على اربعة فصول :

الفصل الاول : فى بيان دعوة ابراهيم - عليه السلام - لابيه .

الفصل الثانى : فى بيان دعوته - عليه السلام - لابيه وقومه من اهل بابل .

الفصل الثالث : فى بيان مناظرة الخليل ابراهيم - عليه السلام - لعدو الله النمروذ .

الفصل الرابع : فى بيان دعوته - عليه السلام - لاهل حران .

قام ابراهيم - عليه السلام - بعدة دعوات فدعا اولا : اباه ، ثم دعا قومه معه من اهل بابل ، ثم ناظر النمروذ ودعاه الى الله تعالى ، ثم دعا بعد ذلك اهل حران من قومه حين هاجر اليهم ، ومن ثم جعلنا لكل دعوة من هذه الدعوات فصلا مستقلا فاشتمل عليها هذا الباب .

الفصـل الاول

فى بيان دعوة ابراهيم ـ عليه السلام ـ لابيه

كان آزر والد ابراهيم مشركا يعبد الاصنام والاوثان ، وقد حز ذلـك فى نفس ابنه ابراهيم ـ عليه السلام ـ واحزنه ان يرى اباه وهو اقرب النـاس اليه يعبد غير الله من اوثان واصنام لا تسمع ولا تبصر ، ولا تغنى عنه شيئـا " ورأى ان ذلك من البلاء بمكان فلابد له ان ينصح اباه ويهديه سـواء السبيل ، فأبوه اقرب الناس اليه والصقهم به واولاهم بالعناية والهدايـة واجدرهم باخلاص النصيحة له فمن البر به ان يبدأ بنصيحته[1] ، فشـرع ابراهيم ـ عليه السلام ـ فى ذلك ساعيا جادا ، لا يألوا جهدا فى نصـح ابيه وتحذيره سوء العاقبة وشر المصير ان هو استمر على هذا الضـلال ودام على عبادة الاصنام والاوثان ، وماكان ذلك الا برا به وتأدبـا معـه واستعطافا له .

وهكذا فقد كان ابراهيم عليه السلام فى دعوته لابيه مثالا للابـن البار الذى يحب الخير لاقرب الناس اليه ، وكان منهجه فى دعوته لابيـه انه دعاه برفق ولين وانه لم يقس عليه فى الكلام ولم يعنفه فى الخطـاب او يزعجه ، بل كان يخاطبه بكل ادب ووقار ويجادله بالحسنى وبألطـف عبارة ، وبين له فى محاورته ومجادلته معه بطلان ماهو عليه من عبادة الاصنام والاوثان بتسفيه معبوداته وتحقير آلهته ، ومع ذلك كله لم يستجب له والـده بل انه قابل كل ذلك بالجحود والنكران والتهديد والهجران لولده .

فقال ابراهيم فى معرض دعوته لابيه كما حكاه القرآن : " ياأبت لـم

---

(١) بتصرف من كتاب "قصص القرآن" ـ الطبعة الثامنة ، ص ٣٤ .

تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا[1] فبين له ان هذه الاصنام كما يقول ابن كثير : " لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغني عنه شيئا او تفعل به خيرا من رزق او نصر، ثم قال منبها على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع وان كان اصغر سنا من ابيه "[2] :

" يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ، يا أبت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا "[3] ، فكان رد والده عليه بعد هذه النصيحة الغالية التى قدمها بين يديه ان هدده وتوعده بأن قال له كما حكاه القرآن الكريم عنه بقوله : " اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا "[4] .

ومع كل ذلك فقد قابل ابراهيم -عليه السلام- تهديد والده له بصدر رحب وتلقى وعيده بنفس راضية مطمئنة لانه كان حليما صبورا على الاذى صفوحا عن الزلات فقال له : " سلام عليك "[5] ثم زاد على ذلك بأن وعد اباه ان يستغفر له عسى ان يهديه ربه رجاء ان يكون من المؤمنين فقال كما حكى القرآن الكريم عنه : " سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا "[6] .

---

(١) مريم : ٤٢ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١ : ١٤١) ، الطبعة الاولى ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م - مطبعة السعادة بمصر .

(٣) مريم : ٤٣، ٤٤، ٤٥ .

(٤) مريم : ٤٦ .

(٥) مريم : ٤٧ .

(٦) مريم : ٤٧ .

وقال : " لأستغفرن لك "[١] ،وقد وفى ابراهيم ـ عليه السلام ـ بوعده فاستغفر لابيه كما حكى القرآن الكريم عنه بقوله : " واغفر لابى انه كان من الضالين "[٢]، وقوله : " ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب "[٣] ، ثم ان استغفار ابراهيم لابيه انما كان منه طمعا فى ايمانه ،غير ان ابراهيم ـ عليه السلام ـ قد تبين له بعد ذلك ان اباه لن يؤمن وانه عدو لله فتبرأ منه كما قال تعالى : " وماكان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه[٤] وهى قوله : " لأستغفرن لك "[٥] فلما تبين[٦] له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه[٧] حليم "[٨][٩] ،وفى هذا يضرب الخليل ابراهيم ـ عليه السلام ـ اروع مثل فى انعدام كل آصرة حينما تفقد رابطة الدين فكان قدوة لمن جاء بعده كما قال تعالى : " قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك وماأملك لك من الله من شىء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ،ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ،لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد "[١٠].

وهكذا كانت عاقبة آزر والد ابراهيم يوم القيامة دخول النار بسبب كفره واصراره عليه ولم تغن عنه ابوته لخليل الرحمن شيئا ،فقد جاء فى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة[١١] وغبرة ،فيقول له ابراهيم : ألم اقل

---

(١) الممتحنة : ٤ . =

=

(٢) الشعراء : ٨٦ .

(٣) ابراهيم : ٤١ .

(٤) التوبة : ١١٤ .

(٥) الممتحنة : ٤ .

(٦) قال الرازى : اختلفوا فى السبب الذى به تبين لابراهيم ان اباه عدو لله فقال بعضهم : بالاصرار والموت، وقال بعضهم : بالاصرار وحده، وقال آخرون : لا يبعد ان الله تعالى عرفه ذلك بالوحى وعند ذلك تبرأ منه . تفسير الفخر الرازى (١٦ : ٢١١) .
واورد ابن كثير فى تفسيره روايتين فقال : انه عرف ذلك بموته فلما مات تبين له انه عدو لله .
والرواية الاخرى : انه يتبرأ منه يوم القيامة حين يلقى اباه وعلى وجه ابيه القترة والغبرة . تفسير ابن كثير (٢ : ٤٢٢) - الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م - مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة .

(٧) الاواه : المتضرع الدعاء - وقيل : الرحيم بعباد الله - وقيل الموقن وقيل المسبح - وقيل المؤمن التواب . تفسير ابن كثير (٢ : ٤٢٢ - ٤٢٣) .

(٨) حليم : الحلم : ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب . قال تعالى : " ان ابراهيم لحليم اواه منيب" المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى (ص ١٢٩) .

(٩) التوبة : ١١٤ .

(١٠) الممتحنة : ٤ - ٦ .

(١١) القترة : قيل هى : الغبار، وقيل : مايغشى الوجه من الكرب والغبرة : مايعلوه من الغبار واحدهما حسى والاخر معنوى، وقيل القترة : اشد الغبرة بحيث يسود الوجه . وقيل القترة : سواد الدخان فاستعير هنا، والذى يظهر : ان الغبرة الغبار من التراب، والقترة : السواد الكائن عن الكآبة . فتح البارى (٨ : ٤٩٩ - ٥٠٠) . =

لك لا تعصيني ؟ فيقول ابوه : فاليوم لا اعصيك . فيقول ابراهيم : يـــارب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم يبعثون ، فأي خزي اخزى من ابي الابعد ؟ فيقول الله تعالى : اني حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال : ياابراهيم ماتحت رجليك ، فينظر فاذا هو بذيخ[1] ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فـــي النـــار[2].

= وقال ابن منظور القترة : غبرة يعلوها سواد كالدخان . لســـان العرب لابن منظور (٥ : ٧١) .

(١) ذيخ : في حديث القيامة ، وينظر الخليل عليه السلام الى ابيـــه فاذا هو بذيخ متلطخ ، الذيخ : ذكر الضباع الكثير الشعر ، والانثى ذيخة بالهاء ، ومعنى متلطخ : اى ملطخ برجيعه او بالطين كمـــا قال في الحديث الاخر : بذيخ امدر اى متلطخ بالمدر .

انظر :

النهاية في غريب الحديث لابن الاثير (٢ : ٥٥) .

الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٢ : ٥١ - ٥٢) .

القاموس المحيط للفيروز ابادى (١ : ٢٦٨) .

لسان العرب لابن منظور (٣ : ١٦) .

(٢) صحيح البخاري - كتاب احاديث الانبياء (٤ : ١١١) .

* * *

الفصل الثانـي
فى بيان دعوة ابراهيم عليه السلام
لابيه وقومـه من اهـل بابــــل

كان قوم ابراهيم من اهل بابل ينعمون فى بحبوحة ورغد مـــــن العيش ولكنهم كانوا يترد ون فى مهاوى الشرك والضلالة فقد كانوا ينحتـــون الاصنام ثم يعبد ونها ومنهم آزر والد ابراهيم الذى كان "ينحتها ويبيعها"[1] وقد نشأ ابراهيم عليه السلام فى هذه البيئة الفاسدة التى يخيم عليهـــا الجهل والعمى ، ويحيط بها الشرك والكفر، ويحكمها الملك الطاغيـــة الجبار المتسلط النمرود بن كنعان الذى ادعى الربوبية والاحقية بالعبادة مستقلا فى ذلك جبروته وسلطانه من جهة، وجهل قومه من جهة اخرى .

نشأ ابراهيم عليه السلام فى ذلك الوكر، وفى ذلك المجتمع الرهيـــب وسط ذلك المحيط المخيف الدامس وقد آتاه الله تعالى الرشد فى صغـــره وارسله تعالى واتخذه خليلا فى كبره ،فشرع ابراهيم - عليه السلام - مبتدئـــا دعوته بأبيه على ماسبق فى البحث السابق ثم انتقل الى دعوته مع قومـــــه من اهل بابل عامة،" وقد كان ابوه وقومه يعبد ون الاصنام والاوثان والشمـس والقمر والكواكب والافلاك فأراد ان ينبههم على الخطأ فى دينهم[2] ،فدعاهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة ماسواه وعرض لهم بتسفيه معبوداتهم والسخرية والاستهزاء بها والازدراء لها والتحقير من شأنها كما قال تعالـى حكاية عنه :" ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ،اذ قـــال

---

(١) انظر كتاب " قصص القرآن" للاربعة المؤلفين - الطبعة الثامنة (ص٣٤).

(٢) الكشاف للزمخشري (١ : ٤٥٨) .

لا بيه وقومه ماهذه التماثيل التى انتم لها عاكفون[١]، وقال تعالى : " اذ قال لا بيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون[٢] ، وقال تعالى : " واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لا بيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم اويضرون[٣] وقال تعالى : " وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون[٤]، فما كان منهم الا ان سألوه واستفهموه اهو جاد فى كلامه ام مازح لاعب معهم فأجابهم بانه جاد فى استهزائه من آلهتهم المزعومة كما قال تعالى : " قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ، قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين[٥] فلما علموا انه جاد فى دعوته واستهزائه بآلهتهم والسخرية منهم اصروا على عبادتها وقالوا بانهم على عقيدة الاباء كما قال تعالى : " قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين[٦] ، وقال تعالى : " قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون[٧] فأخذ عليه السلام يوبخهم على متابعة الاباء على غير هدى لانه التقليد الاعمى المحض بعد معرفتهم بانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر

---

(١) الانبياء : ٥١ - ٥٢ .
(٢) الصافات : ٨٥ - ٨٦ .
(٣) الشعراء : ٦٩ - ٧٣ .
(٤) العنكبوت : ١٦ - ١٧ .
(٥) الانبياء : ٥٥ - ٥٦ .
(٦) الانبياء : ٥٣ .
(٧) الشعراء : ٧٤ .

ولا تغنى عن عابديها شيئا قال تعالى : " لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضـــلال مبين"[١] ،وقال تعالى : " افرأيتم ماكنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمـــون فانهم عدولى الا رب العالمين"[٢] ،فلما رأى اصرارهم على الباطل وان توبيخه لهم لم يجد معهم شيئا قدم بين ايديهم تهديده واقسم لهم انه سيحطم اصنامهم ومعبوداتهم كما قال تعالى :" وتالله لاكيدن اصنامكم بعـــد ان تولوا مدبرين"[٣] ،"وقد كان لقومه يوم عيد كبير يخرجون فيه كل عام مـــرة الى ظاهر المدينة يقضون اياما فى اللهو والمرح ثم يعودون ،واعتـــادوا قبل خروجهم الى عيدهم ان يقدموا طعامهم الى آلهتهم ومعبوداتهـــم حتى تباركه لهم فى زعمهم فاذا رجعوا من لهوهم فى عيدهم اكلوا منـــه وقبل خروجهم عرضوا على ابراهيم ـ عليه السلام ـ وطلبوا اليه ان يخرج معهم ليشاركهم فى لهوهم فنظر فى النجوم متظاهرا على طريقتهم فى كشـــف الحوادث المستقبلة فاعتذر لهم بانه سقيم[٤] ،فذهبوا وتركوه " ولم تكن بـــه علة ولا سقم وانما كان سقيم النفس والفؤاد لعبادتهم الاصنام والاوثـــان"[٥] ، وماكان ذلك منه الا ليخلص الى تحطيم معبوداتهم كما قال تعالى :" فنظـــر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم ،فتولوا عنه مدبرين"[٦] ،" فلما خلفوه وحيدا وخلت المدينة من قاطنيها وخلا له الجو نفذ ماكان قد عقد العزم عليـــه

---

(١) الانبياء : ٥٤ .

(٢) الشعراء : ٧٥ - ٧٦ .

(٣) الانبياء : ٥٧ .

(٤) يتصرف من كتاب " البداية والنهاية" لابن كثير (١ : ١٤٤) وكتـــاب " قصص القرآن " الطبعة الثامنة ،ص ٣٩ .

(٥) بتصرف من الكشاف (٢ : ٢٦٥) .

(٦) الانبياء : ٨٨ - ٩٠ .

من تحطيم معبوداتهم " فأسرع اليها مستخفيا[1] يحدوه البشر ويملوه الفرح والسرور ليقيم الحجة على عبدة الاصنام فوجدها فى بهوها المظيم بين يديها طعام قومه فقال لها ساخرا منها ومستهزئا بها ألا تأكلون[2]، ثم اقبل عليها يحطمها ويكسرها بيمينه حتى جعلها جذاذا قطعا متناثرة وأبقى على كبيرهم ليقيم به الحجة على قومه ، فلما عاد القوم قافلين من لهوهم هرعوا كمادتهم الى آلهتهم ليقدموا لها ولاء الطاعة والخضوع ، وليأكلوا من الطعام الذى تركوه عندها لتباركه لهم ، ففوجئوا بتحطيمها فجن جنونهم ووقفوا مبهوتين من هول مارأوا ومن عظيم مصابهم ، وصار لهم " هرج ومرج[3] ثم اطرقوا متحيرين فاذا صوت من بينهم يذكرهم بتوعد ابراهيم لها قبل خروجهم وكان بعضهم قد سمع توعده وتهديده بتحطيمها ان هم ولوا مدبرين ، ومما عرفوه عنه ، وشاع بين اوساطهم من استهزائه بآلهتهم والسخرية بها والتهكم والازدراء لها فقالوا :" سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم[4] اى يذكرهم بالعيب والنقص والازدراء والتهكم والسخرية والاستهزاء ، فأمروا باحضاره على اعين الناس لعلهم يشهدون عقابه

---

(١) بتصرف من الكشاف (٢ : ٢٦٥) ، وتاريخ ابن كثير (١ : ١٤٤) .

(٢) بتصرف من كتاب " قصص القرآن " (ص ٣٩ - ٤٠) .

(٣) الهرج : بتسكين الراء : الاختلاط ، واصل الهرج : الكثرة فى الشىء والهرج يطلق على معانى منها : كثرة القتل ، وكثرة النكاح ، وكثرة الكذب ، وكثرة النوم ، وهرج القوم يهرجون فى الحديث اذا افضوا به فاكثروا . لسان العرب (٢ : ٣٨٩) ، دار صادر بيروت ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

المرج : مرج الدين والامر : اختلط واضطرب - ومنه الهرج والمرج ، ويقال : انما يسكن المرج لاجل الهرج ازدواجا للكلام . لسان العرب (٢ : ٣٦٥) .

(٤) الانبياء : ٦٠ .

فحضر فأرادوا محاكمته على رؤوس الاشهاد ردعا له وزجرا لامثاله ممن تسول له نفسه ان يقدم على مثل ما فعل ابراهيم وليردوا الى آلهتهم اعتبارها بين جمهور العابدين ، وما دري الاغرار الحمقى " ان اجتماع الناس في صعيد واحد هي امنية ابراهيم التي كان طالما يتمناها ويحلم بها وينتظرها بفارغ الصبر لتبليغ دعوة ربه ورجاء نشرها على مسامع قومه حتى يتم له تبليغ دعوة الله على اوسع مدى ويقيم عليهم الحجة"[1] ، فقالوا له : " أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون"[2] ، لقد جرهم بحكمته الى شيء لم يسألوه عنه ، فقد عرض بتسفيه معبوداتهم والسخرية بها والازدراء لها - وانها آلهة عاجزة عن الذب عن نفسها فضلا عن غيرها ويكفي من مظاهر عجزها انها لم تكن تدفع عن نفسها التحطيم والتكسير ، ولم ترد جوابا على مخاطبها فأطرقوا وقد اعترتهم الحيرة والتردد " فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون"[3] ، وبذلك اعترفوا لابراهيم - عليه السلام - بالحق من حيث لا يشعرون " ثم نكسوا على رؤوسهم"[4] فقالوا " لقد علمت ما هؤلاء ينطقون"[5] فرجعوا بذلك عن الحق الذى عرفوه الى الباطل الذى الفوه ، وقد انتهز ابراهيم هذه الفرصة التي اتيحت له فكر عليهم موبخا لهم على سوء صنيعهم وقبيح فعالهم مجهلا لهم ومسفها احلامهم لعبادتهم اصناما

---

(١) بتصرف عن كتاب " قصص القرآن " (ص ٤١) .

(٢) الانبياء : ٦٢ - ٦٣ .

(٣) الانبياء : ٦٤ .

(٤) الانبياء : ٦٥ .

(٥) الانبياء : ٦٥ .

صامتة لا تنطق فقال " اف لكم ولما تعبد ون من د ون الله افلا تعقلون "[1] فأقا م عليهم الحجة والزمهم بها فلما قهرهم ود حض حجتهم واوضح زيف وبطـلان عباد تهم ، واتضح وبان عجزهم ، وظهر الحق وزهق الباطل اصروا علـى مباد ئهم (" وعدلوا عن المناظرة الى استعمال جاه ملكهم وقوتهـم وسلطانهم وجبروتهم فعقد وا العزم على احراقه فقالوا كما حكى القرآن الكريم عنهم بقوله " ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم "[2] ولم يكن ذلك منهـم الا تخلصا منه حتى يستروا خزيهم وفضيحتهم وهزيمتهم "[3] ، وهذا شـأن الظالمين العتاة المستكبرين فى الارض، الجبارين الظلمة فى كل مكان وزمان وكل عصر وأوان اذا فشلوا امام الحق هرعوا الى الانتقام والنيل من اتباعـه والتضييق عليهم وتعذيبهم بكل مايملكون حتى تزهق ارواحهم ، ولا غرابـة حينما نرى السجون فى بلاد المسلمين تغص بخيار العلماء المنافحين عـن الحق والمحكوم عليهم بالتخليد فيها مع الاعمال الشاقة لا لشىء الا انهـم يقولون ربنا الله ، وقد مضى سلفهم من الاخيار قتلا وشنقا فى سبيـل ان تحيا عقيد تهم ، فهم مع السابقين اتخذ وا المكان ، وللاحقين رسموا البيان لمن اراد ان ينهج نهجهم ويسير على خطهم " فشرعوا يبنون له بنيانـا عظيما يجمعون فيه الحطب من كل مكان ويطلبونه من كل حد ب وصوب حـتى تراكمت اعواد ه وضاق بالمكان تواجد ه "[4] ووضعوه فى البناء العظيم ثم اضرموا فيه النار وألقوا فيها ابراهيم عليه السلام " حتى ان المرأة كانت اذا مرضت

---

(١) الانبياء : ٦٧ .

(٢) الصافات : ٩٧ .

(٣) بتصرف من كتاب " قصص القرآن " (ص ٤٢) .

(٤) بتصرف من كتاب " قصص القرآن " (ص ٤٣) .

تنذر لئن عوفيت لتحملن حطبا لحريق ابراهيم[١] .

ولقد بلغ من شدة وهج النار وحرارتها وامتداد السنتها ولهيبها في الفضاء - على ماقيل - عن السدى ان الطير لتمر بها في جو السماء فتحترق من شدة حرها ووهجها واندلاع لهيبها[٢] . " وتجمعت الحشود الزاخرة، وتقاطرت الجموع المتوافدة ينظرون بأعناق مشرئبة ونفوس متعطشة الى رؤية تعذيبه ليطفئوا ماتأجج في صدورهم من جذوة الغليان الذى عانوه مما حل بآلهتهم[٣] ، فألقوا فيها ابراهيم - عليه السلام - موثوقا برباطه وقيوده ليشفوا غليل صدورهم، ويطفئوا نار حقدهم عليه معتقدين انهم بذلك قد خلصوا منه الى الابد لكن الله تعالى كان من وراء خليله ابراهيم - عليه السلام - فأمر النار ان تكون عليه بردا وسلاما فنجاه الله تعالى من النار وخرج منها ابراهيم سليما معافى . قال تعالى : " قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم، وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين[٤] وقال تعالى : " فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين[٥] ، وقال تعالى : " فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون[٦] ، وكان ابراهيم عليه السلام حين القى في النار قوى الايمان

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١ : ١٤٦) .

(٢) كتاب " الكامل في التاريخ" لابن الاثير (١ : ٩٩) .

وكتاب " تاريخ الرسل والملوك" لابن جرير الطبرى (١ : ٢٤٢) .

(٣) بتصرف من كتاب " قصص القرآن" (ص ٤١) .

(٤) الانبياء : ٦٩ - ٧٠ .

(٥) الصافات : ٩٨ .

(٦) العنكبوت : ٢٤ .

ثابت الجنان ، واثقا بنصر الله تعالى له ، مطمئن الجانب لا تزلزله النكبات ولا تهزه المصائب .

وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى عن ابن عباس قال : " كان آخر قول ابراهيم حين القى به فى النار : حسبى الله ونعم الوكيل " .(١)

فكان ابراهيم عليه السلام بذلك قدوة لكل داعية بعده الى الله تعالى فى مواجهة العقبات بالصبر الجميل حتى يبلغ دعوة ربه ، ويؤدى الامانة التى انيطت به ، ومن لطيف مايحكى فى هذا المقام ان الوزغ قبحه الله تعالى كان ينفخ النار على خليل الله تعالى ابراهيم عليه السلام فلذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم بقتله ، ففى صحيح البخارى عن ام شريك رضى الله عنها " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : امر بقتل الوزغ وقال : كان ينفخ على ابراهيم عليه السلام " .(٢)

* * *

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب التفسير (٦ : ٣٣) مطبعة الفجالة الجديدة ١٣٧٦هـ / سورة آل عمران باب قوله تعالى : " ان الناس قد جمعوا لكم " الاية .

(٢) صحيح البخارى ـ كتاب احاديث الانبياء (٤ : ١١٢) .

الفصل الثالث
فى بيان مناظرة الخليل عليه السلام
لعدو الله النمروذ

نجى الله تعالى خليله ابراهيم ـ عليه السلام ـ من نار قومه فخرج منها سليما معافى على مرأى من قومه فطار ذكره فى الافاق وشاع خبره فى النوادى وذاع صيته فى الاوساط لان خروجه من النار ولم تحرقه معجزة وهو امر من خوارق العادات وخارج عن مألوف الناس وعن طبيعة النار المحرقة " وقد آمن به نفر قليل من قومه حين رأوا ماصنع الله تعالى به على خوف من نمروذ وملأوهم[1] ، وهنا رأى النمروذ انه لا بد له ان يناظر ابراهيم ويحاجه لعله ان ينتصر عليه بطريق الحجة والبرهان بعد ان عجز عن قهره بطريق الاحراق بالنيران ، وكانت هذه امنية ابراهيم ـ عليه السلام ـ ليقيم الحجة عليهم مرة اخرى فكانت المناظرة بينه وبين النمروذ ملك بابل " وكان قد طغا وبغا وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا[2] وتمرد على الله تعالى وادعى الربوبية من دون الله فدعاه ابراهيم ـ عليه السلام ـ الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له فسأله النمروذ من ربك على مايتبادر الى الافهام من ظاهر القرآن فأجابه الخليل ـ عليه السلام ـ ببعض مايتصف به الله سبحانه وتعالى ولا يشاركه فيه احد فقال ربى الذى يحيى ويميت فقال النمروذ مجادلا : انا احيى واميت " ويعنى بذلك على ماقاله قتادة والسدى ومحمد بن اسحاق : انه يأتى بالرجلين

---

(١) تاريخ ابن الاثير (١ : ١٠٠) دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١ : ١٤٨) .

قد تحتم قتلهما فيأمر بقتل احدهما ويعفو اعن الاخر فيكون بذلك قد احيا هذا وامات الاخر[1] ، ولما كان هذا الجواب فيه ايهام للناس ومكابرة انتقل معه الخليل ـ عليه السلام ـ الى امر لا يمكنه المكابرة فيه ، فقال له : ان كنت الها كما تزعم فغير نظام هذا الكون الرتيب ، فشمس هذا الكون تطلع من المشرق فاعكس نظام سيرها وأت بها من المغرب ، فانقطعت حجة الكافر ورد الله كيده في نحره . قال تعالى : " ألم تر الى الذى حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين[2] ، وهنا رأى ابراهيم اصرار قومه على كفرهم واقامتهم على عبادة غير الله فعزم على ان يخرج عنهم مهاجرا لعله يجد ارضا خصبة تنمو فيها دعوته .

متى كانت مناظرة ابراهيم ـ عليه السلام ـ للنمروذ لعنه الله ؟

اختلف علماء التفسير وغيرهم في الوقت الذى وقعت فيه المناظرة بين ابراهيم ـ عليه السلام ـ وبين النمروذ لعنه الله ، هل كانت قبل احراق ابراهيم بالنار او وقعت بعد احراقه .

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ٣٢٥) ـ الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ـ مطبعة الفجالة الجديدة ـ القاهرة .
تاريخ ابن كثير (١ : ١٤٨) ـ الطبعة الاولى ـ ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ـ مطبعة السعادة ـ مصر .

(٢) البقرة : ٢٥٨ .

(١) فذهب فريق منهم الى ان المناظرة وقعت قبل احراق قوم ابراهيم له بالنار .

ومن ذهب الى ذلك القول : ابو السعود[1] ،والزمخشري[2] في تفسيريهما ولم ينسباه الى احد .

(٢) وذهب الى القول بان المناظرة انما وقعت بعد القاء ابراهيم في النار وتجاته منها : الطبري في تفسيره[3] ، وابن كثير في تفسيره وتاريخه البداية والنهاية[4][5] ،وهذا الرأى منسوب الى السدى .

(٣) وذهب جماعة آخرون الى عدم الجزم بأحد القولين وعدم ترجيح احد الرأيين ومن ذهب الى ذلك الالوسي في روح المعاني[6] والرازى في التفسير الكبير[7] ، وابو حيان في البحر المحيط[8]

---

(١) تفسير ابى السعود المسمى "ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم" (١ : ١٩١) الطبعة الاولى ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م - المطبعة المصرية .

(٢) تفسير الزمخشرى المسمى " بالكشاف" (١ : ٢٨٠) .

(٣) تفسير الطبرى المسمى بـ " جامع البيان" (٥ : ٤٣٦) تحقيق محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر .

(٤) تفسير ابن كثير (١ : ٣٢٦) ، تعليق عبد الوهاب عبد اللطيف ، تصحيح محمد الصديق - الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م - مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة .

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (١ : ١٤٩) الطبعة الاولى ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م - مطبعة السعادة بمصر .

(٦) روح المعاني للالوسي (٣ : ١٥) الطباعة المنيرية لمحمد منير الدمشقي .

(٧) التفسير الكبير للفخر الرازى (٧ : ٢٣) الطبعة الاولى ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م - المطبعة البهية المصرية .

(٨) البحر المحيط لابي حيان (٢ : ٢٨٧) الطبعة الاولى ١٣٢٨هـ =

والخازن[١] والقرطبى[٢] فى تفسيريهما .

فقالوا : واختلفوا فى وقت هذه المحاجة :

(١) فقيل : بعد كسر الاصنام وقبل القائه فى النار، وهو مروى عن مقاتل والربيع .

(٢) وقيل : بعد القائه فى النار وجعلها عليه بردا وسلاما ، وهو مروى عن جعفر الصادق والسدى . ا.هـ

القول المختار :

والقول المختار الذى يقوى فى نفسى ان هذه المناظرة انما وقعت بعد القاء ابراهيم عليه السلام فى النار ونجاته منها على ما سبق ذكرنا له فى الفصل السابق ، وذلك ان اسلوب القرآن الكريم فى قصة الاحراق يدل على انه : كان نتيجة تكسير الاصنام ومحاكمته على ذلك ، وليس فى القرآن الكريم مايدل من قريب ولا من بعيد على ان الاحراق كان نتيجة مناظرته الملك ، اذ ليس فى القصة مايدل على ان الملك استدعاه او ناظره بعد محاكمته وقبل الحكم عليه بالاحراق ، وانما هذه المناظرة كانت بعد ان نجى ابراهيم من النار واعجب الملك بنجاته ، حيث رأى ان ذلك امر خارق لمألوف العادات ، وانه لا سبيل الى اخذه عن طريق البطش والقهر

= مطبعة السعادة بمصر .

(١) تفسير الخازن المسمى " لباب التأويل فى معانى التنزيل " (١ : ٢٣) الطبعة الاولى بمطبعة بولاق بمصر .

(٢) " الجامع لاحكام القرآن " للقرطبى (٣ : ٢٨٥) - الطبعة الثانية ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة .

وان احسن وسيلة لمراجعة ابراهيم هى مناظرته لعله يثوب الى رشـــــده فى زعمه ويرجع الى عبادة معبوداتهم والخضوع لملكه فجرت بينهما تلـــــك المناظرة التى ذكرنا .

* * *

الفصــل الرابــع
فى بيان دعوته ـ عليه السلام ـ لاهل حران

لما نجا الله تعالى خليله ابراهيم ـ عليه السلام ـ من نار قومــه ولم يجد ابراهيم فى ارض بابل قبولا لدعوته، واستجابة الى الايمان بربــه خلص منهم متجها الى ارض حران وكان اهلها لهم مزيد عناية بعبــادة الكواكب والافلاك مع عبادتهم الاصنام والاوثان ، فأراد ابراهيم ـ عليــه السلام ـ ان يبطل قولهم بربوبية الكواكب بعد ان ابطل قولهم بربوبيــة الاوثان والاصنام الا انه عليه السلام ـ كما يقول الرازى فى تفســيره " كان قد عرف من تقليدهم لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل انــه لو صرح ابتداء بالدعوة الى الله تعالى لم يقبلوا ولم يلتفتوا اليه فمال الى طريق به يستدرجهم الى استماع الحجة، وذلك بأن ذكر كلاما يوهم كونــه مساعدا لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب مع ان قلبه ـ صلوات الله وسلامــه عليه ـ كان مطمئنا بالايمان، ومقصوده من ذلك ان يتمكن من ذكر الدليــل على ابطالها وافسادها وان يقبلوا قوله، وتمام التقرير : انه لمــا لــم يجد الى الدعوة طريقا سوى هذا الطريق، وكان ـ عليه السلام ـ مأمــورا بالدعوة الى الله تعالى سلكه"[1].

وهو ما حكاه القرآن الكريم عنه بقوله : " وكذلك نرى ابراهــيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين، فلما جن عليه الليل رأى كوكبــا قال "هذا ربى"[2] فلما افل قال لا احب الافلين، فلما رأى القمر بازغــا ،

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى (١٣ : ٥٠) ـ الطبعة الاولى ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م ـ المطبعة البهية المصرية .

(٢) قال ابن كثير فى تفسيره : "اختلف المفسرون فى هذا المقام : هل =

= هو مقام نظر او مناظرة ، فروى ابن جرير من طريق على بن ابى طلحة عن ابن عباس مايقتضى انه مقام نظر ، واختاره ابن جرير مستدلا بقوله تعالى : " لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين " ، وقال محمد بن اسحاق : قال ذلك حين خرج من السرب الذى ولدته فيه امه حين تخوفت عليه من نمروذ بن كنعان ثم قال ابن كثير : والحق ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان فى هذا المقام مناظرا لقومه مبينا لهم بطلان ماكانوا عليه من عبادة الهياكل والاصنام ، فبين فى المقام الاول مع ابيه خطأهم فى عبادة الاصنام ، وبين فى هذا المقام خطأهم وضلالهم فى عبادة الهياكل وهى الكواكب السيارة السبعة وهى : القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل . ا.هـ

انظر تفسير ابن كثير (٢ : ١٦٣) .

وقال ابن حجر العسقلانى فى الفتح : " نقل انه قال فى حال الطفولية فلم يعدها لان حال الطفولية ليست بحال تكليف وهذه طريقة ابن اسحاق ، وقيل انما قال ذلك بعد البلوغ لكنه قاله على طريق الاستفهام الذى يقصد به التوبيخ ، وقيل : قاله على طريق الاحتجاج على قومه تنبيها على ان الذى يتغير لا يصلح للربوبية وهذا قول الاكثر انه : قال توبيخا لقومه او تهكما بهم وهو المعتمد " . ا.هـ

انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى (٦ : ٣٩١) .

ونقل النووى فى شرحه على صحيح مسلم قول القاضى عياض :

انه قال : " لا خلاف ان الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون منه ، واختلفوا فيه قبل النبوة والصحيح انه لا يجوز " . ا.هـ

انظر صحيح مسلم بشرح النووى (٣ : ٥٣) .

وقال القاضى عياض : " والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك فى شىء من ذلك ، وقد تعاضدت الاخبار =

قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وماأنا من المشركين "[1].

(" وأبراهيم عليه السلام انما تكلم بقوله " هذا ربى " مشيرا الى احد الكواكب التى رآها مما كان يعبد قومه ليظهر من نفسه موافقة القوم فى الظاهر حتى اذا اورد عليهم الدليل المبطل لقولهم كان قبولهم لذلك الدليل اتم وانتفاعهم باستماعه اكمل ومما يقوى هذا الوجه انه تبارك وتعالى حكى عنه مثل هذا الطريق فى موضع آخر وهو قوله تعالى

---

* والاثار عن الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان ، ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبىء واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك" . انظر كتاب " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " (٢ : ١٠٩) .

قلت : الحق ماذهب اليه الحذاق من اهل العلم والاخبار من ان ابراهيم عليه السلام انما قال " هذا ربى " على سبيل التهكم لقومه وبيان ان هذه الكواكب لا تستحق العبادة ولا تصلح ان تكون آلهة ، ولا يصح قول من قال انما قال ذلك فى مقام النظر والتعرف على الله لان الله تعالى قال فى حق الانبياء : الله اعلم حيث يجعل رسالته .

وقال فى خصوص ابراهيم عليه السلام : " ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين " وبرأ ساحته من الجهل به والاشراك معه فقال تعالى : " ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين " . ا.هـ

(١) الانعام : ٧٥ - ٧٦ .

" فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم ،فتولوا عنه مدبرين"[١] ، وذلك لانهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على حصول الحوادث المستقبلة على ماتقدم ذكر ذلك ،فوافقهم ابراهيم - عليه السلام - على هذا الطريق فى الظاهر مع انه كان بريئا منه فى الباطن ، ومقصوده ان يتوسل بهذا الطريق الى كسر اصنامهم وقد كان")[٢] ، وبذلك اقام عليهم الحجة ببطلان الوهية هذه الكواكب والزمهم القول بعدم صلاحيتها للربوبية . قال تعالى " وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه"[٣] .

" وقد كان وجه استدلال ابراهيم - عليه السلام - على بطلان الوهية هذه الكواكب هو افولها وتغيرها وعدم استمرار بقائها ومن المعروف بداهة ان من لوازم الالوهية البقاء والدوام ، وانما احتج بافولها دون بزوغها مع ان كلا منهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج بالافول ادخل فى الدلالة على بطلان تلك الالهة التى يزعمون فان الافول انتقال مع خفاء واحتجاب ،فهو انقص من البزوغ لان فى البزوغ جمالا وكمالا ، وفى الافول قبحا ونقصانا - ومما لا ريب فيه ان الاحتجاج بالناقص فى مقام الاستدلال اتم واكمل فى اقامة الحجة عليهم وبلوغ المقصود "[٤] .

---

(١) الصافات : ٨٨ - ٩٠ .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى (١٣ : ٥٠ - ٥١) .

(٣) الانعام : ٨٣ .

(٤) بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازى (١٣ : ٥٢) .

محاجة قوم ابراهيم له .

ولما اقام ابراهيم عليه السلام الحجة على قومه من عبدة الاصنام والكواكب لجأوا الى محاجته ومخاصمته فى الهه ومعبوده وربه ، وشرعوا فى مغالبته فى امر التوحيد تارة بايراد الادلة الفاسدة من التقليد الاعمى لاسلافهم ، وتارة بتخويفه وتهديده مما سوف يلحقه من آلهتهم وتحذيره عاقبة الاستهزاء منها والسخرية بها والازدراء لها فخوفوه بطشها والحاق السوء به ونصحوه بالرجوع الى معبوداتهم .

فأنكر ابراهيم - عليه السلام - عليهم محاجتهم له مع قصورهم عن عزة المطلب وعن تلك المرتبة العالية وعن قوة الخصم ووضوح الحق الذى يؤهلهم لان يكونوا محاججين ، ورد عليهم بأنهم احق بالخوف من الله تعالى وخشيته من ان ينزل بهم غضبه او يحل بهم سخطه لان آلهتهم عاجزة وغير قادرة على دفع الضر عن نفسها فكيف تستطيع ان تلحق الضرر بغيرها ، وانما الله رب العالمين - سبحانه وتعالى - هو القادر على ان ينزل بهم الضر او يحل عليهم سخطه فيهلكهم ويستأصلهم فكان سبحانه وتعالى هو الجدير بالخوف منه ، والحقيق بأن يخشى عذابه وعقابه وقد بين القرآن الكريم تلك المحاجة فى عبارة سلسة لطيفة بينة فقال تعالى " وحاجة قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ، ولا اخاف ماتشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون ، وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون"[1] فقد اوضح لهم ابراهيم

---

(١) الانعام : ٨٠ - ٨١ .

ـ عليه السلام ـ عجز آلهتهم ومعبوداتهم وانها بمعزل عن القدرة او التأثير فكيف اذا يخاف مما ليس يخاف منه وهم لا يخافون اصلا عاقبة ماهو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراكهم بالله تعالى الذى فطر السموات بما فيها من كواكب وافلاك ، والارضين ومافيها من مخلوقات فأنذرهم وحذرهم مما سوف يحل بهم ان هم اصروا على ذلك ـ ثم اختتم ابراهيم عليه السلام محاجته لقومه فى صورة استفهام يريد بذلك ان يقيم عليهم الحجة باقرارهم ان من آمن برب العالمين سبحانه وتعالى هو الجدير بالامن والحقيق بالسلامة يوم الهول الاكبر فيقول " فأى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون ، الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون "[1] .

* * *
* *
*

---

(١) الانعام : ٨١ - ٨٢ .

البـــاب الثالـــث

فى بيان هجرات ابراهيم عليه السلام

الفصل الاول : هجرته من بابل الى ارض الشام ومروره بأرض حران

الفصل الثانى : خروج ابراهيم ـ عليه السلام ـ الى مصر ورجوعـــه منها الى حيث كان بالشام

الفصل الثالث : فى بيان سفرات ابراهيم ـ عليه السلام ـ الى مكة

ان ابراهيم ـ عليه السلام ـ كانت له فى حياته عدة اسفار وتنقلات الى بعض الاقطار، وهذه الاسفار والتنقلات سماها بعض الناس هجرات وليست تعتبر فى الحقيقة هجرات بالمعنى الشرعى اللهم الا هجرته من بابل ارض الكلدانيين الى الشام شرقى بيت المقدس من ارض الكنعانيين ليتمكن من نشر دعوة ربه، وانما هى اسفار وتنقلات من مكان الى آخر نعم قد تسمى هذه التنقلات والاسفار هجرات بالمعنى اللغوى .

وهذه التنقلات فيما نعلمه مما نقل الينا هى خروجه :

اولا :

من بابل فى ارض الكلدانيين الى مدينة حران وهى ايضا من ارض الكلدانيين ثم خروجه :

ثانيا :

من مدينة حران مهاجرا الى الشام شرقى بيت المقدس من ارض الكنعانيين ثم خروجه :

ثالثا :

من الشام ارض الكنعانيين الى مصر ورجوعه منها الى حيث كان بالشام ثم خروجه :

رابعا :

من ارض الشام الى مكة مع زوجه هاجر وابنه اسماعيل ليضعهما بأمر الله تعالى بجوار بيته الحرام ورجوعه الى حيث كان بالشام .

ثم خروجه :

خامسا :

من الشام الى مكة مرة ثانية لتنفيذ امر الله تعالى له بذبح ولـــده اسماعيل - عليهما الصلاة والسلام - ورجوعه الى حيث كان بالشام .

ثم خروجه :

سادسا :

من الشام الى مكة مرة ثالثة لزيارة ابنه اسماعيل وايصائه بفراق زوجه الاولى ورجوعه الى حيث كان بالشام .

ثم خروجه :

سابعا :

من الشام الى مكة مرة رابعة لزيارة اسماعيل وايصائه له بابقاء زوجه الثانية ورجوعه الى حيث كان بالشام .

ثم خروجه :

ثامنا :

من الشام الى مكة مرة خامسة ليبنى مع ابنه اسماعيل بيت الله الحرام .

الفصـــل الاول
في بيان هجرته من بابل الى ارض الشام
ومروره بأرض حـران

بعد ان رأى ابراهيم ـ عليه السلام ـ اصرار قومه من اهل بابـــل على الكفر وعدم جدوى دعوته لهم، واقدامهم على احراقه وقد نجاه اللـــه تعالى من شرهم وكيدهم ولم تجد مناظرته مع ملكهم خرج متجها الـــى مدينة حران وبصحبته والده وزوجه سارة وابن اخيه لوط فنزلوا حـــران ("وهي مدينة عظيمة تقع على طريق الموصل والشام والروم، وقيل: سميـــت بـ "هاران" اخي ابراهيم ـ عليه السلام ـ لانه اول من بناها فعربـــت فقيل: حران، وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون، وقال يـاقـــوت الحموي عن بعض المفسرين في قوله تعالى "اني مهاجر الى ربي"[1]: انـــه اراد حران، وقالوا بقوله تعالى: "ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنـــا فيها للعالمين[2] هي حران") .[3] ا.هـ

والقول الصواب الذي عليه اكثر المفسرين ان حران ليست مهاجـــر ابراهيم عليه السلام ـ وانما مر بها في هجرته الى ارض الكنعانيين بالشـــام[4]

---

(١) العنكبوت : ٢٦ .

(٢) الانبياء : ٧١ .

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموي (٢ : ٢٣٥) دار صادر بـــيروت ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٠ : ١٤٢ - ١٤٣) الطبعة الثانيـــة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م مطبعة الحلبي بمصر .

تفسير القرطبي (١٣ : ٣٣٩) الطبعة الاولى ـ مطبعة دار الكتـــب ـ ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م =

فمهاجره انما هو شرقي بيتالمقدس بفلسطين من ارض الشام على ماسيأتي بيانه . ثم ان الارض التي بارك الله فيها للعالمين انما هي ارض فلسطين وليست حران كما يشهد لذلك قول الله تعالى : " سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله "[1] واذا فهي الارض التي بارك الله فيها للعالمين ، وهي الارض التي نجى الله تعالى اليها ابراهيم ولوطا عليهما الصلاة والسلام .

ولم يدم مقام ابراهيم ـ عليه السلام ـ بمدينة حران فان قومها كانوا كفارا من عبدة الكواكب ، ولما دعاهم الى توحيد الله تعالى وترك ماهم عليه من عبادة الكواكب على ماسبق ذكره في الباب الثاني ، لم تجد دعوته معهم شيئا ، وحين اصروا على ماهم عليه من عبادتها خرج مواصلا هجرته عنهم " بعد ان مات ابوه بها[2] الى ارض يستطيع ان يدعو الناس الى توحيد ربه وعبادته فارتحل ـ ومعه زوجه سارة وابن اخيه لوط ولم يكن قد آمن به يومئذ غيرهما كما قال تعالى : " ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين "[3] فنزل ابراهيم ـ عليه السلام ـ مع ابن اخيه لوط بالشام ، واقام شرقي بيت المقدس دهرا يدعو الناس الى عبادة ربه تبارك

= تفسير الزمخشرى (٢ : ١٧٨) الطبعة الاولى ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥ م المطبعة البهية المصرية .
تفسير البحر المحيط لابي حيان (٧ : ١٤٩) الطبعة الاولى ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة بمصر .
تفسير روح المعاني للالوسي (٢٠ : ١٥٢) مطبعة الدمشقي .
تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني (٣ : ١٢٦) .

(١) الاسراء : ١ .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١ : ١٥٠) ، تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٥) .
(٣) الانبياء : ٧١ .

وتعالى حتى اجتاحت ارض الشام موجة قحط وشدة وجدب واصابتها سنون لأواء وغلاء فرأى ابراهيم ـ عليه السلام ـ ان يخرج الى مصر طلبا للميرة على ماسنبين تفصيله فى الفصل الاتى ان شاء الله تعالى .

* * *

الفصــل الثانى
فى بيان خروج ابراهيم ـ عليه الســـلام ـ
الى مصر ورجوعه منها الى حيث كان بالشام

" اجدبت ارض الشام واصابتها مجاعة شديدة[1] كما سلف ذكر ذلــك فى الفصل السابق ، فخرج ابراهيم ـ عليه السلام ـ الى مصر التى رزقـــت بالخيرات وعمتها النعمة طلبا للميرة ، وكان يتربع على عرشها اذ ذاك ملــك جبار من جبابرة مصر ، اولع بالتسلط على النساء الجميلات ، وكانت ســـارة امرأة وضيئة ومن احسن الناس وجها ، فما ان حط ابراهيم ـ عليه الســـلام ـ رحله والقى عصاه فيها حتى رآه ورأى سارة بعض حاشية الملك من اهـــل السوء من بطانته فأوشوا بها لديه واغروه بها قائلين له قد نزل بأرضنـــا رجل معه امرأة من احسن الناس وزينوا له حسنها وبهاءها ورغبوه فـــى الاستيلاء عليها وقد صادف ذلك هوى ورغبة فى نفسه فولع بها فأرســـل الى ابراهيم يسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : اختى . فأتـــى سارة فقال لها : قد سئلت عنك فاخبرت انك اختى ، وانك اختى فـــى الايمان " فانه ليس على وجه الارض اليوم مؤمنان غيرى وغيرك[2] ، فـــان

---

(١) بتصرف من : تاريخ ابن كثير (١ : ١٥٠) ، تاريخ ابن خلـــدون (٢ : ٣٥) .

(٢) المقصود من ذلك : زوجان مؤمنان ، فقد كان لوط معهم لانه آمـــن بابراهيم عليهما الصلاة والسلام . " قال ابن كثير فى تفسيره عنـــد الكلام على قوله تعالى "فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربـــى" لكن يقال : كيف الجمع بين هذه الاية وبين الحديث الوارد فـــى الصحيح ان ابراهيم عليه السلام حين مر على ذلك الجبار فســـأل=

سألوك فلا تكذبيني ، ولما طلب الملك احضارها اليه جئ بها فلما دخلت عليه قام اليها فأقبلت على وضوئها وصلاتها داعية الله تبارك وتعالى ان يحفظها ويصون عرضها ويحميها من شره ، فلما مد يده اليها ليتناولها اخذ فطلب منها ان تدعو ربها ان يطلقه ولا يمسها بسوء فدعت الله تعالى فأرسل ثم عاد يتناولها بيده مرة ثانية فأخذ اشد ما أخذ به في المرة الاولى فطلب منها ان تدعو ربها ان يطلقه ولا يمسها بسوء فدعت الله تعالى فاطلق ثم هم مرة ثالثة ان يتناولها فأخذ اشد مما اخذ به في المرتين الاوليين حتى رأى الهلاك بين عينيه ، فطلب منها ان تدعو ربها ان يطلقه ولا يمسها بسوء فلما دعت ربها تعالى واطلق دعا بعض حجبته وقال لهم : ما أرسلتم الى الا شيطانا ارجعوها الى ابراهيم واخدموها هاجر وهي جارية مصرية عذراء كانت في قصر ذلك الجبار فرجعت سارة بها الى ابراهيم ـ عليه السلام ـ فوجدته في صلاته فأشار اليها ما الخبر ؟ فاخبرته بنصر الله تعالى لها واذلاله الكافر واخدامه هاجر جارية لها ويشهد لذلك ماجاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال :

= ابراهيم عن سارة ماهي منه ؟ فقال : اختي ، ثم جاء اليها فقال لها : اني قد قلت له انك اختي فلا تكذبيني ، فانه ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك فانت اختي في الدين ، وكأن المراد من هذا والله تبارك وتعالى اعلم انه ليس على وجه الارض زوجان على الاسلام غيري وغيرك فان لوطا عليه السلام آمن به من قومه وهاجر معه الى بلاد الشام .

انظر تفسير ابن كثير (٣ : ٤٢٧) تصحيح محمد الصديق ـ الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م مطبعة الفجالة الجديدة ـ القاهرة .

(" لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات[1] اثنتان منهن فى ذات الله

---

(١) الحقيقة : ان الاحاديث التى ثبتت فى اصح كتب السنة تثبت نسبة الكذب الى ابراهيم - عليه السلام - وهذه الاحاديث ليست باطلة ولا هى من الاسرائيليات كما يدعى بعض من لا علم له بالسنة معللا ذلك بانه ينافى عصمة الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - بل هى فى قمة الصحة واعلاها حيث استوفت جميع شروط الصحة والقبول من حيث المتن والاسناد عند جميع علماء الحديث غير انه يمكن ان يقال ان هذا الكذب الذى ثبتت نسبته الى ابراهيم ليس من الكذب الصريح المحرم الذى هو من كبائر الدين وانما هو كذب باعتبار الظاهر ، فكذبات ابراهيم - عليه السلام - الثلاث التى وردت فى الحديث الصحيح ليست هى كذبا فى حقيقتها وانما هى قد تعتبر كذبا لدى السامع وحاشا ابراهيم - عليه السلام - من الكذب اذ الصدق من اعظم اركان اصحاب الرسالات السماوية - عليهم الصلاة والسلام - لانهم مصدر ثقة فيما يروونه عن الله تبارك وتعالى ولا يعقل ابدا ان يصدر منه كذبا فقد وصفه ربه تبارك وتعالى فى محكم كتابه العزيز بقوله : " واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا " ، وانما اسلوبه الذى نهجه هذا انما كان من البلاغة بما يسمى بالتورية وهى الاتيان بكلمة لها معنيان احدهما قريب يتبادر الى ذهن السامع او القارئ من ظاهر اللفظ لاول وهلة ولكنه غير مراد عند المتكلم او الكاتب ، والمعنى الاخر هو البعيد الذى لا يفطن له ذهن السامع او القارئ ولكنه هو المراد لدى المتكلم وفى قصده ، والانبياء - عليهم الصلاة والسلام - قد اوتوا الحكمة فى اساليب مخاطبة الناس على مختلف مستوياتهم وتباين ثقافاتهم ما يعجز عنه غيرهم ممن حرموا الحكمة او قصرت فى حقهم .

ومما يؤيدنى ويشهد لى ما قاله ابن كثير فى تفسيره " فى قول ابراهيم - عليه السلام - " انى سقيم " ، وقوله " بل فعله كبيرهم هذا " وقوله فى سارة " هى اختى " : ليس هذا من باب الكذب الحقيقى الذى =

= يذم فاعله حاشا وكلا ، وانما اطلق الكذب على هذا تجوزا ، وانما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث : ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب" .
تفسير ابن كثير (٤ : ١٣) .
وما قاله الالوسي عند تفسير قوله تعالى " فقال اني سقيم" :
" اراد انه سيسقم ولقد صدق عليه السلام فان كل انسان لا بد ان يسقم ، وقيل : اراد مستعد للسقم الان او سقيم القلب لكفركم والقوم توهموا انه اراد قرب اتصافه بسقم لا يستطيع معه الخروج معهم الى معيدهم هذا وكذا قوله عليه السلام ، بل فعله كبيرهم هذا وقوله في زوجته سارة " هي اختي " من معاريض الاقوال كقول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قال له في طريق الهجرة ممن الرجل من ماء حيث اراد عليه الصلاة والسلام ذكر مبدأ خلقه ففهم السائل انه بيان قبيلته ولا يعد ذلك كذبا في الحقيقة وتسميته به في بعض الاحاديث الصحيحة بالنظر لما فهم الغير منه لا بالنسبة الى ما قصده المتكلم ، وجعله ذنبا في حديث الشفاعة قيل : لانه ينكشف لابراهيم عليه السلام انه كان منه خلاف الاولى لان كل تعريض هو كذلك فانه قد يجب " ا . هـ
تفسير الالوسي (٢٣ : ٩٢ - ٩٣) .
وكذلك قوله عند تفسير قوله تعالى " بل فعله كبيرهم هذا " : " وقد سلك عليه السلام في الجواب مسلكا تعريضيا يؤدي به الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه يحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب فقد ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذلك المعرض فعلا بجعل الفأس في عنقه او في يده وقصد اسناده اليه بطريق التسبب حيث رأى تعظيمهم اياه اشد من تعظيمهم لسائر ما معه من الاصنام المصطفة المرتبة للعبادة من دون الله =

قوله : " انى سقيم " وقوله " بل فعله كبيرهم هذا " وقال بينا هو ذات يوم وسارة اذ اتى على جبار من الجبابرة فقيل له ان ههنا رجل معه امرأة من احسن الناس فارسل اليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : اختى فأتى سارة فقال : ياسارة ليس على وجه الارض مؤمن غيرى وغيرك وان هذا سألنى فاخبرته انك اختى فلا تكذبينى ، فارسل اليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادع الله لى ولا اضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها او اشد فقال ادع الله لى ولا اضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال : انكم لم تأتونى بانسان انما اتيتمونى بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلى فاومأ بيده : مهيا ؟ قالت : رد الله كيد الكافر او الفاجر فى نحره واخدم هاجر ، قال ابو هريرة : تلك امكم يابنى ماء السماء ")[1] .

= تعالى فغضب لذلك زيادة الغضب فأسند الفعل اليه اسنادا مجازيا عقليا باعتبار انه الحامل عليه ، والاصل فعلته لزيادة غضبى من زيادة تعظيم هذا وانما لم يكسره وان كان مقتضى غضبه ذلك لتظهر الحجة وتسمية ذلك كذبا كما ورد فى الحديث الصحيح من باب المجاز لما ان المعاريض تشبه صورتها صورته فيبطل الاحتجاج بما ذكر على عدم عصمة الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - " . ا . هـ من تفسير الالوسى (١٧ : ٦٠) .

وماقاله الحافظ ابن حجر فى فتح البارى حيث قال : " واما اطلاقه الكذب على الامور الثلاثة فلكونه قال قولا يعتقده السامع كذبا لكنه اذا حقق لم يكن كذبا لانه من باب المعاريض المحتملة للامرين فليس بكذب محض " . ا . هـ فتح البارى لابن حجر (٦ : ٣٩١) .

(١) اخرجه البخارى فى موضعين من صحيحه : فى كتاب " احاديث الانبياء " (٤ : ١١٢) ، وكتاب " النكاح " باب " اتخاذ السرارى ، ومن اعتق جاريته ثم تزوجها " (٧ : ٦) .

وما جاء فى صحيح مسلم عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (" لم يكذب ابراهيم النبى - عليه السلام - قط الا ثلاث كذبات ثنتين فى ذات الله قوله : " انى سقيم " وقوله " بل فعله كبيرهم هذا " وواحدة فى شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فاخبريه انك اختى فانك اختى فى الاسلام فانى لا اعلم فى الارض مسلما غيرى وغيرك فلما دخل ارضه رآها بعض اهل الجبار اتاه فقال له قدم ارضك امرأة لا ينبغى لها ان تكون الا لك فأرسل اليها فأتى بها فقام ابراهيم عليه السلام الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدى ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك ففعلت فعاد فقبضت اشد من القبضتين الاوليين فقال ادعى الله ان يطلق يدى فلك الله ان لا اضرك ففعلت واطلقت يده ودعا الذى جاء بها فقال له انك انما اتيتنى بشيطان ولم تأتنى بانسان فاخرجها من ارضى واعطها هاجر قال فأقبلت تمشى فلما رآها ابراهيم عليه السلام انصرف فقال لها : مهيم ؟ قالت : خيرا كف الله يد الفاجر واخدم خادما قال ابو هريرة : فتلك امكم يابنى ماء السماء ")[١] .

وما جاء فى سنن ابى داود عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (" ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لم يكذب قط الا ثلاثا

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الفضائل (٧ : ٩٨ - ٩٩) دار الطباعة العامرة ١٣٣٢ هـ - مصر .

اثنتان في ذات الله تعالى قوله : " اني سقيم " وقوله : " بل فعله كبيرهم هذا " وبينما هو يسير في ارض جبار من الجبابرة اذ نزل منزلا ، فأتى الجبار ، فقيل له : انه نزل ههنا رجل معه امرأة هي احسن الناس ، قال فأرسل اليه فسأله عنها ، فقال : انها اختي فلما رجع اليها قال : ان هذا سألني عنك فانبأته انك اختي وانه ليس اليوم مسلم غيري وغيرك ، وانك اختي في كتاب الله ، فلا تكذبيني عنده[1]) .

وماجاء عن الترمذي في جامعه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال (" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم يكذب ابراهيم في شيء قط الا في ثلاث ، قوله : " اني سقيم " ولم يكن سقيما ، وقوله لسارة اختي وقوله " بل فعله كبيرهم هذا " قال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح[2]) .

وقال المباركفوري في هذا الحديث : اخرجه الشيخان[3] .

وما اخرجه الامام احمد بن حنبل في مسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : (" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات قوله حين دعى الى آلهتهم اني سقيم ، وقوله " فعله

---

(١) سنن ابي داود السجستاني (٢ : ٣٥٥ - ٣٥٦) الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م - مطبعة السعادة بمصر .

(٢) صحيح الترمذي بشرح ابي بكر بن العربي المالكي - ابواب التفسير سورة الانبياء (١٢ : ٢٣ - ٢٥) طبع سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م مطبعة الصاوي - مصر .

(٣) تحفة الاحوذي لابي العلى محمد عبد الرحمن المباركفوري (٩ : ٧) - طبع سنة ١٢٨٣هـ / تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان - مطبعة الاعتماد بمصر .

كبيرهم هذا" وقوله لسارة انها اختى ،قال : ودخل ابراهيم قرية فيهـا ملك من الملوك او جبار من الجبابرة فقيل : دخل ابراهيم الليلة بامـرأة من احسن الناس قال فأرسل اليه الملك او الجبار من هذه معك ،قـال اختى ،قال : ارسل بها قال : فأرسل بها اليه وقال لها لا تكـذبـى قولى فانى قد اخبرته انك اختى ان على الارض مؤمن غيرى وغيرك قـال فلما دخلت اليه قام اليها قال : فأقبلت تتوضأ وتصلى وتقول : اللهـم ان كنت تعلم انى آمنت بك وبرسولك واحصنت فرجى الا على زوجى فـلا تسلط على الكافر قال فغط حتى ركض برجله قال ابو الزناد قال ابو سلمـة ابن عبدالرحمن عن ابى هريرة انها قالت : اللهم انه ان يمت يقل هـى قتلته قال : فارسل ثم قام اليها فقامت توضأ وتصلى وتقول : اللهـم ان كنت تعلم انى آمنت بك وبرسولك واحصنت فرجى الا على زوجى فـلا تسلط على الكافر قال فغط حتى ركض برجله قال ابو الزناد قال ابو سلمـة عن ابى هريرة انها قالت : اللهم انه ان يمت يقل هى قتلته قال فارسل ، فقال فى الثالثة او الرابعة ما ارسلتم الى الا شيطانا ارجعوها الـى ابراهيم واعطوها هاجر قال فرجعت فقالت لابراهيم : اشعرت ان اللـه عز وجل رد كيد الكافر واخدم وليد")[1] . قال البنا الساعاتى عن هـذا الحديث اخرجه البخارى ومسلم وغيرهما[2] .

وقال ابن كثير فى تاريخه عن حديث احمد هذا :" تفرد بـه

---

(١) مسند احمد مع منتخب كنز العمال (٢ : ٤٠٣ - ٤٠٤) .

(٢) الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيبانـى (٢٠ : ٥٣) الطبعة الاولى ١٣٧٦هـ - مطبعة الاخوان المسلمين .

احمد من هذا الوجه وهو على شرط الصحيح"[1].

ثم قال ابن كثير فى تاريخه مانصه :" ثم ان الخليل عليه السلام رجع من بلاد مصر الى ارض التيمن وهى الارض المقدسة التى كان فيها ومعه انعام وعبيد ومال جزيل وصحبتهم هاجر القبطية المصرية"[2].

* * *

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١ : ١٥١) .

(٢) تاريخ ابن كثير (١ : ١٥٢) .

الفصل الثالث

سفرات ابراهيم عليه السلام الى مكة

السفرة الاولى : " ذهابه الى مكة بهاجر وولدها اسماعيل ليضعهما بجوار بيت الله الحرام" .

بعد عودة ابراهيم - عليه السلام - من مصر الى الشام ومعه زوجه سارة وخادمتها هاجر وبصحبتهم الاموال الجزيلة والخيرات الكثيرة من انعام واقوات القى عصا الترحال وعاد الى مهجره بالشام شرقى بيت المقدس فأقام بها مع اهله نحوا من عشرين عاما - كما يقول ذلك ابن كثير فى تاريخه(١) .

ثم اشتاقت نفسه الى الولد وتطلعت الى الخلف فدعا ربه ان يهبه من الصالحين ولما رأت سارة اشتياقه الى الولد وتطلعه الى الذرية وقد وجدت نفسها فى وضع لا يمكنها من الحمل لعقمها وكبر سنها ارادت ان تدخل السرور على قلب زوجها فوهبت له جاريتها هاجر واشارت عليه ان يدخل بها لعل الله تعالى ان يرزقه منها بولد تقر به عينه وتسعد به نفسه فاستجاب ابراهيم - عليه السلام - لها ودخل بهاجر فجاءته بغلام حليم هو اسماعيل عليه السلام فسر به ابراهيم - عليه السلام - واغتبط ، وقد شاركته زوجه سارة الفرحة والسرور حينا من الوقت ، وشايعته البهجة والحبور ثم لم تلبث سارة ان " دبت الغيرة(٢) الى قلبها وضاقت ذرعا بجاريتها فانها وان كانت صالحة فهى من

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١ : ١٥٣) .

(٢) تاريخ ابن كثير (١ : ١٥٣) .

البشر لا سيما وان النساء قد فطرن على الغيرة وهذا لا ينتقص من قدرها ولا يقدح فى فضلها ، فهاجت بها اعاصير الحزن والاسى ولوعة العقم وحرمان الولد فحرمت الهدوء واصبحت لا تحتمل رؤية هاجر وابنها اسماعيل وقد ضاقت عليها الدنيا بما رحبت فتمنت على زوجها ان يغيب عنها هاجر ورضيعها ويذهب بهما بعيدا عنها حتى لا تراهما فاستجاب ابراهيم - عليه السلام - لمطلبها واذعن لارادتها حين اوحى الله تعالى اليه ان يذهب بهما الى مكة لحكمة يعلمها الله تبارك وتعالى فهب ابراهيم - عليه السلام - من حينه منفذا ما أمره الله تعالى به فخرج مصوبا بزوجه هاجر وولدها اسماعيل تجاه ارض مكة ، وهناك تركهما وديعة لربه تبارك وتعالى بين جبال مكة وبجوار بيته الحرام وليس معهما سوى جراب من تمر وسقاء من ماء ، ولما اراد ان يقفل راجعا الى بلاد الشام تبعته هاجر تسأله الى من يتركهما فى هذا المكان القفر الموحش حيث لا انيس ولا سمير ولا زاد ولا ماء واخذت تلح عليه فلما لم يرد عليها سألته ان كان الله تبارك وتعالى هو الذى امره بهذا ؟ فقال : نعم فسلمت امرها لله تعالى ورضيت بحسن قضائه وايقنت بلطفه وحفظه ورعايته وعنايته وقالت : اذا لا يضيعنا ، ثم اتجه ابراهيم راجعا قبل الشام بعد ان استقبل بيت الله الحرام داعيا بما ذكره القرآن الكريم عنه بقوله " ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون "(١) .

ومكثت هاجر وطفلها الرضيع يشربان مما معهما من الماء حتى

---

(١) ابراهيم : ٣٧ .

نفذ ماعندهما فاصابها وابنها الظمأ فاخذ الطفل يتلوى من الظمأ وشدة العطش ويفحص برجله فلم تحتمل هاجر رؤية ابنها الصغير وهو فى هـذا الوضع الاليم ودفعها حنان الام وعطفها الى ان تسع جادة فى البحث عن ماء تنقذ به ابنها مما سوف يحل به من الهلاك فخرجت تبحث عن الماء لا تلوى على شىء ولا تألوا جهدا فى ذلك فنظرت فاذا بالصفا اقرب جبل اليها فارتقت عليه واخذت تنظر يمينا وشمالا علها تجد ماء او ترى احدا يسعفها فلم تر شيئا فهبطت الوادى وواصلت سيرها حثيثا حتى بلغت جبل المروة وقامت عليه تنظر هل من ماء فلم تر شيئا ، او من منقذ فلم تر احدا فعادت ادراجها الى الصفا ثم الى المروة بحثا عن الماء وكررت ذلك سبع مرات فلما كانت على المرة فى المرة السابعة سمعت صوتا فطارت فرحا فنادت بغبطة : لقد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا بالملك عند موضع زمزم يضرب بعقبه الارض حتى نبع الماء فأقبلت تغرف من الماء وتسقى ابنها وهكذا ادركها لطف الله وجميل صنعه وعظيم تدبيره تبارك وتعالى فعادت الحياة الى الرضيع الذى كان قد اشرف على الهلاك .

ومكثت هاجر كذلك حتى مرت بهم جماعة من قبيلة جرهم العربية قادمة من طريق كداء فنزلوا فى اسفل مكة ورأوا طائرا يحوم قريبا منهم فاستدلوا به على وجود الماء فأرسلوا من خدمهم من يأتيهم بالخبر فجاء فوجد هاجر وابنها عند الماء فرجع واخبرهم الخبر فجاءوا اليها واستأذنوها فى النزول بجوارها فأذنت لهم على ان لا يكون لهم حق فى الماء فقبلوا ذلك واقاموا بجوارها ، ويشهد لذلك مارواه البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال :

(" أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا[1] لتعفى[2] اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا[3] فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل، فقالت : يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انس ولا شىء؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له : أالله الذى امرك بهذا ؟ قال : نعم، قالت : اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : " ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون[4] ، وجعلت ام اسماعيل

---

(١) المنطق : كل ما شد به الوسط، والنطاق : شبه ازار فيه تكة كانت المرأة تنتطق به، وفى حديث ام اسماعيل : اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا هو النطاق وجمعه مناطق، وهو ان تلبس المرأة ثوبها ثم تشد وسطها بشىء وترفع وسط ثوبها وترسله على الاسفل عند معاناة الاشغال لئلا تعثر فى ذيلها.
لسان العرب (١٠ : ٣٥٥) .

(٢) عفا الاثر : بمعنى درس وامحى، وعفا شعر ظهر البعير : كثر وطال فغطى دبره . لسان العرب (١٥ : ٧٦) .

(٣) الجراب : الوعاء . لسان العرب (١ : ٢٦١) .

(٤) ابراهيم : ٣٧ .

ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ مافى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط[1] ، فانطلقت كراهية ان تنظر اليه ، فوجدت الصفا اقرب جبل يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما - فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صه[2] تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت : قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت " تحوضه[3] " وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء سقائها وهو يفور بعد ماتغرف ، قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال : لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم " عينا معينا[4] " قال : فشربت وارضعت ولدها

---

(١) تلبط : اى اضطجع وتمرغ ، والتلبط : التمرغ ، ومنه حديث ام اسماعيل جعلت تنظر اليه يتلوى ويتلبط . لسان العرب(٧ : ٣٨٨) .

(٢) صه : اسم فعل امر معناه اسكت - بتصرف من لسان العرب(٣ : ١٥١) .

(٣) حاض الماء وغيره حوضا وحوضه : حاطه وجمعه ، وفى حديث ام اسماعيل لما ظهر لها ماء زمزم جعلت تحوضه اى تجعله حوضا يجتمع فيه الماء . لسان العرب (٧ : ١٤١) .

(٤) المعين : ينبوع الماء الذى ينبع من الارض ويجرى ، وماء معيون : ظاهر تراه العين جاريا على وجه الارض ، وماء معين كمعيون . لسان العرب(١٣ : ٣٠٣ - ٣٠٤) .

فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة فان هاهنا بيت الله يبنى هذا الغلام وابوه ، وان الله لا يضيع اهله ، وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى اسفل مكة فرأوا طائرا " عائفا[1] فقالوا : ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى ومافيه ماء فأرسلوا " جريا او جريين[2] فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فاقبلوا ، قال وام اسماعيل عند الماء فقالوا إتأذنين لنا ان ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ، ولكن لا حق لكم فى الماء ، قالوا : نعم ، قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : فألفى[3] ذلك ام اسماعيل وهى تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم ")[4].

---

(١) ذكر ابن منظور فى اللسان حديث ام اسماعيل وقال العائف هنا هو الذى يتردد على الماء ويحوم ولا يمضى .
لسان العرب (٩ : ٢٦٠) .

(٢) الجرى : الوكيل ، والرسول ـ والخادم والاجير وفى حديث ام اسماعيل عليه السلام : فارسلوا جريا اى رسولا . لسان العرب (١٤ : ١٤٢) .

(٣) ألفى الشىء : وجده ، لسان العرب (١٥ : ٢٥٢) .

(٤) صحيح البخارى ـ كتاب احاديث الانبياء (٤ : ١١٣ - ١١٥) .

السفرة الثانية : سفرة ابراهيم عليه السلام الى مكة لتنفيذ امر الله تعالى له بذبح ولده اسماعيل .

ترك ابراهيم - عليه السلام - فلذة كبده في تلك البقعة النائية حيث لا أنيس ولا سمير ولا زاد ولا ماء تسليما لامر الله تعالى ورضاء بقضائه فلما شب الغلام عن الطوق وبلغ السعى واطاق العمل وسر ابراهيم بسه وقرت عينه به اوحى الله تبارك وتعالى اليه بذبح ولده اسماعيل فعزم على الذهاب لابنه لتنفيذ امر الله فيه ، فكانت بعثة الهبة لابراهيم - عليه السلام - تحمل مهمة شاقة ومجهدة للنفس لانها كانت تحمل في طياتها ابتلاء ايما ابتلاء هو ذبح ولده . فلما رأى الخليل ابراهيم عليه السلام في منامه انه يؤمر بذبح ابنه ، ورؤيا الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - حق فما كان منه بعد ان رأى ذلك الا ان هب مسرعا تجاه مكة لينفذ امر الله تعالى ، وارتحل حتى بلغ مكة ولقى ابنه اسماعيل وبعد فراغه من السلام عليه اصطحبه الى خارج مكة متجها الى حيث امر لينفذ حكم الله تعالى فيه ، وهنا اسر الخليل ابراهيم - عليه السلام - الى ولده اسماعيل بأمر الله فيه ، وانه رأى في المنام ان يذبحه ، فاستجاب الغلام لامر ربه واسرع بالطاعة الى طلب ابيه ، فلما ذهب به ابوه حيث اراد ذبحه وعلى اسماعيل قميص ابيض ، وقال : ياأبت انه ليس لى ثوب تكفننى فيه غيره فاخلعه حتى تكفننى فيه ، وقد تعرض له الشيطان عند الجمرات ليصده عن تنفيذ امر ربه فرماه ابراهيم - عليه السلام - عند كل جمرة بسبع حصيات حتى ذهب ، وهناك " تله للجبين[1] : بأن " كبه على وجهه

---

(١) " والذى دل عليه القرآن الكريم : انه تله للجبين فقط ، ولم يأت في حديث صحيح انه امر الشفرة على حلق ابنه " كما قاله =

او اوقعه على جنبه في الارض[1] يريد ذبحه وهنا ادرك لطف الله تعالى ذلك الشيخ الكبير وهذا الغلام الصغير فنودي ابراهيم عليه السلام من قبل الله عز وجل : " ان يا ابراهيم ، قد صدقت الرؤيا "[2] ، فقد حصل المقصود من اختبارك وابتلائك وطاعتك ومبادرتك الى امر ربك ، وقد جعل الله تعالى له فداء عن ذبح ولده ، قال تعالى : " وفديناه بذبح عظيم "[3] والمشهور عن الجمهور انه كبش ابيض اعين اقرن[4] كما نقل ذلك ابن كثير في تاريخه ، ويؤيد ذلك ماجاء في الحديث الطويل الذي رواه الامام احمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - في مسنده عن ابي الطفيل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وجاء فيه : " ثم ذهب به جبريل الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة

= ابو حيان في البحر المحيط (٧ : ٣٧١) ا . هـ ، وقال ابن كثير في تاريخه : " ثم غالب ماههنا من الاثار مأخوذ من الاسرائيليات وفي القرآن كفاية عما جرى من الامر العظيم والاختبار الباهر ، وانه فدى بذبح عظيم " (١ : ١٥٨) ا . هـ

والواقع : ان الناس قد ذكروا كثيرا من القصص التي تحتمل الكذب في شأن ذبح ابراهيم لابنه اسماعيل - عليهما السلام - وليس لهم دليل صحيح فيما ذكروه الا ماتلقفوه من الاسرائيليات المنقولة عن اهل الكتاب ، وماصوره لهم خيالهم الخصب في اثناء حكاية القصة لذلك ضربنا عن ذكر ذلك صفحا واقتصرنا على ماجاء في الكتاب وصح في السنة مما يحصل به المقصود . والله اعلم .

(١) تفسير ابن كثير (٤ : ١٦) ، البحر المحيط لابي حيان (٧ : ٣٧٠) .

(٢) الصافات : ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣) الصافات : ١٠٧ .

(٤) تاريخ ابن كثير (١ : ١٥٨) .

الوسطى فرماه بسبع حصيات وثم تله للجبين وعلى اسماعيل قميص ابيض وقال : يا أبت ، انه ليس لى ثوب تكفننى فيه غيره ، فاخلعه حتى تكفننى فيه فعالجه ليخلعه فنودى من خلفه " ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا " فالتفت ابراهيم فاذا هو بكبش ابيض اقرن اعين[1] " .[2] ا . هـ محل الغرض منه .

---

(١) اعين : ضخم العين واسعها . لسان العرب (١٣ : ٣٠٢) .

(٢) مسند الامام احمد بن حنبل بتحقيق احمد محمد شاكر (٤ : ٢٤٧ - ٢٤٨) الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م - دار المعارف بمصر .
وقال الهيثمى فى " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " : " رواه احمد والطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات " . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى - كتاب الحج - باب رمى الجمار (٣ : ٢٥٩) .
وقال احمد شاكر عنه : اسناده صحيح ، ورقم الحديث (٢٧٠٧) مسند احمد بتحقيق احمد شاكر (٤ : ٢٤٧) .

السفرة الثالثة : سفرة ابراهيم ـ عليه السلام ـ الثالثة الى مكةوايصائه ابنه اسماعيل عليه السلام بتطليق زوجه الاولى .

لبث ابراهيم ـ عليه السلام عن ابنه اسماعيل ماشاء الله ثم اشتاق الى رؤيته وتطلع الى زيارته ليطمئن عليه ويشبع رغبته في الوقوف على اخباره والاطلاع على احواله ، وسار ابراهيم ـ عليه السلام ـ حتى بلغ مكة وأتى دار اسماعيل فلم يجده فسأل عنه زوجه وكان قد تزوج امرأة من جرهم فأخبرته بانه خرج يبتغى لهم رزقا فسألهم عن عيشهم وحالهم فأبدت الشكوى والتضجر وعدم الرضا بقضاء الله تبارك وتعالى فرأى ابراهيم ـ عليه السلام ـ ان هذه المرأة لا يمكن ان تصلح زوجا لولده فتفسد عليه بيته وحياته فأوصاه بطلاقها وذلك انه حين هم قافلا الى بلاد الشام حمّلها ان تبلغ اسماعيل ـ عليه السلام ـ السلام وتخبره بوصية والده بوجوب تغيير عتبة بابه ، فلما رجع اسماعيل ـ عليه السلام ـ كأنه آنس شيئا فسأل اهله هل جاءكم من احد ، فقالت : نعم ، جاءنا شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه المزدرية له ، قال : هل قال لك شيئا ؟ قالت : نعم ، سألنى عن عيشنا وحالنا فأخبرته انا في ضيق وشدة ، قال : فهل اوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك ، فقال : ذاك ابى ، وانت العتبة ، امرنى بمفارقتك فالحقى بأهلك ، فطلقها استجابة لرغبة ابيه ، كما صح ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الطويل الذى رواه البخارى وجاء فيه : " وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم ، وماتت ام اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ماتزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن

بشر، نحن فى ضيق وشدة فشكت اليه، قال : فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه، فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا فقال : هل جاءكم من احد ؟ قالت : نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألنى كيف عيشنا فأخبرته انا فى جهد وشدة قال : فهل اوصاك بشىء ؟ قالت : نعم، امرنى ان اقرأ عليك السلام، ويقول غير عتبة بابك، قال : ذاك ابى، وقد امرنى ان افارقك الحقى بأهلك فطلقها[1].

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب احاديث الانبياء (٤ : ١١٤) .

السفرة الرابعة : سفرة ابراهيم الرابعة الى مكة وايصائه ابنه اسماعيل عليهما السلام بالابقاء على زوجه الثانية .

فارق اسماعيل عليه السلام زوجه الاولى من جرهم ، وتزوج منهم بأخرى فكانت خيرا من الاولى ، وقد لبث عنهم ابراهيم ماشاء الله ثم اراد ان يزورهم ، فخرج حتى جاء مكة فلما بلغ منزل ابنه اسماعيل لم يجده كما فى المرة الاولى فسأل عنه زوجه فأخبرته بأنه خرج يبتغى لهم رزقا ورحبت به وحيته بأبلغ تحية وقابلته بأحسن مايقابل ضيف فسألها عن عيشهم وحالهم ، فقالت : نحن بخير وسعة وأثنت على الله تعالى خيرا فقال : ماطعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء .

فلما اراد ابراهيم - عليه السلام - الرجوع الى الشام اوصاها ان تبلغ زوجها السلام وان تقول له : يثبت عتبة بابه ، فلما جاء اسماعيل - عليه السلام - كأنه آنس شيئا ، فسأل : هل جاءكم من احد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ حسن الهيئة واخذت تصفه بأجمل الصفات واحسنها ، وتذكره بكل مايزين مبالغة فى احترامه وتقديره ، وقالت : سألنى عنك فأخبرته وسألنى عن عيشنا وحالنا فأخبرته انا فى خير حال ، قال : فهل اوصاك بشىء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ويقول لك : ثبت عتبة بابك قال : ذاك ابى وانت العتبة ، امرنى ان امسكك كما صح ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الطويل الذى رواه البخارى وجاء فيه :

" وتزوج منهم اخرى ، فلبث عنهم ابراهيم ماشاء الله ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغى لنا . قال : كيف انتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة واثنت على

الله ،فقال : ماطعامكم ؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت:الماء قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء ، قال النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب،ولو كان لهم دعا لهم فيه ،قال : فهما لا يخلوا عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه ،قال : فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ،ومريه يثبت عتبة بابه ،فلما جاء اسماعيل ،قال : هل اتاكم من احد ؟ قالت : نعم،اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه ،فسألنى عنك فأخبرته ،فسألنى : كيف عيشنا فأخبرته : انا بخير،قال : فأوصاك بشىء ؟ قالت : نعم ،هو يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت " عتبة بابك"،قال : ذاك ابى ،وانت العتبة امرنى ان امسكك".[1]

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب احاديث الانبياء ـ عليهم السلاة والسلام (٤:١١٤-١١٥) .

السفرة الخامسة : سفرة ابراهيم - عليه السلام - الخامسة الى مكة لبناء البيت العتيق .

لبث ابراهيم - عليه السلام - بمهاجره في الشام ماشاء الله تعالى ان يلبث ثم امره الله تبارك وتعالى ان يذهب الى مكة لبناء بيته الحرام فاستجاب لامر ربه - عز وجل - وارتحل لتوه يقصد مكة لتنفيذ امر الله تعالى له من بناء الكعبة المشرفة، واقامة اول بيت وضع للناس في الارض، فلما بلغ مكة لقى ولده اسماعيل - عليهما السلام - يبرى نبلا له تحت دوحة عظيمة عند زمزم، فلما رآه قام اليه فتعانقا واستقبل كل منهما الاخر بحرارة وشوق، وبعد ان اطفأ حرارة الشوق بلقائهما افضى ابراهيم - عليه السلام - الى ابنه اسماعيل بالمهمة التى انيطت به والمسئولية العظيمة التى كلفه الله تعالى بها وجاء من اجلها وهى بناء البيت الحرام وطلب من ابنه ان يكون عونا ومساعدا له على بنائه فاستجاب اسماعيل لطلب ابيه، وبادر بالسمع والطاعة فكان معوانا لابيه على تنفيذ اوامر الله تعالى .

وقد بوأ[1] الله تبارك وتعالى مكان البيت وبين له محله ليرفع بناءه

---

(١) معنى بوأ : اى ارشده اليه وسلمه له واذن له في بنائه . تفسير ابن كثير (٣ : ٢٢٧) واما كيف بوأه الله تعالى مكان البيت؟ فعن السدى : بعث الله ريحا يقال لها : الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكنست لهما ما حول الكعبة عن اساس البيت الاول واتبعاها بالمعاول يحفران . تفسير الطبرى (١٧ : ١٤٣) . وقال الخطيب الشربينى : قال ابن عباس : بعث الله تعالى له سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشى في ظلها الى ان وافت موضع البيت نودى منها ابراهيم ان ابن على ظلها لا تزد =

وبعد ان وقف ابراهيم عليه السلام على قواعده التي بينها الله تعالى لـه وكشف له عنها شرع هو وابنه اسماعيل يرفعان قواعد البيت، ابراهيم ـ عليه السلام ـ يبني ، واسماعيل ـ عليهما السلام ـ يناوله الحجارة ويعاونه وهما يدوران حول البيت في بنائه ويقولان : " ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم " فلما ارتفع البناء وطال الجدار وقصرت يد ابراهيم عن رفع بنائه اتى له اسماعيل بحجر ليقف عليه ويرتقي به ليكمل ما ارتفع من بناء الكعبة وقد لان الحجر تحت قدميه فانطبعت قدماه به فكان آية بينة من آيات الله تعالى تنطق بصدق نبوة ابراهيم ـ عليه السلام ـ وكان هو مقام ابراهيم عليه السلام ـ الذي لا يزال بيننا حتى الان بجوار بيت الله الحرام ، وقد امر الله تبارك وتعالى ان يتخذ الناس منه مصلى تحقيقا من الله عز وجل لرغبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان يرجو ذلك على مارواه بعض المفسرين[1] ، وقد جاءت هذه القصة مبينة في الحديث الطويل الذي

= ولا تنقص ، وقيل : ارسل الله تعالى جبريل ليدله على موضع البيت تفسير السراج المنير للشربيني (١ : ٩٣) . لكن ليس لقول من هذه الاقوال دليل صحيح يؤيده .

(١) (" قوله تعالى " واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى " : روى البخاري وغيره عن عمر قال : وافقت ربي في ثلاث : قلت : يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت ـ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ـ ثم قال السيوطي : وظاهر هذا ان الاية نزلت في حجة الوداع ") ا . هـ لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي (ص ٢٠) ـ الطبعة الثانية مطبعة الحلبي بمصر .

(" عن انس قال قال عمر : وافقت الله في ثلاث او وافقني في ثلاث ، قلت يارسول الله : لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى ") ا . هـ محل الغرض منه . صحيح البخاري ـ كتاب التفسير (٦ : ١٧) .

رواه البخاري وجاء فيه : (" ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم، فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال : يا اسماعيل : ان الله امرني بأمر قال فاصنع ما أمرك ربك، قال : وتعينني ؟ قال : واعينك قال : فان الله امرني ان ابني هاهنا بيتا واشار الى اكمة مرتفعة على ماحولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء وجاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : " ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم[1]، قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : " ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ")[2] ا.هـ محل الغرض منه .

ثم بعد ان اتم الله ـ تبارك وتعالى ـ على ابينا ابراهيم ـ عليه السلام ـ النعمة ببناء البيت امره بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود ليأنس اليه زواره وترتاح اليه نفوسهم .

وقد امر الله تعالى خليله ابراهيم ـ عليه السلام ـ بعد تمام بناء البيت وتطهيره ان يؤذن في الناس بالحج وينادي فيهم بدعوة الحج والامر به فاستجاب له كل من اراد الله تعالى له ان يحج ـ ومن يومئذ والناس يتقاطرون ويتوافدون من كل حدب وصوب في كل عام على اختلاف السنتهم والوانهم زرافات ووحدانا يأتون من كل فج عميق مشاة وركبانا

---

(١) البقرة : ١٢٧ .

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب احاديث الانبياء (٤ : ١١٥) .

ليحجوا هذا البيت الحرام ويشهدوا منافع لهم " من رضوان الله تعالى وما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات وغيرها".[1]

الاختلاف في اول من بنى البيت الحرام وبيان عدد مرات بنائه .

اختلف العلماء في تعيين اول من بنى هذا البيت الحرام :

فذهب بعض اهل التفسير والسير الى ان اول من بنى البيت الحرام هم الملائكة وايدوا ماذهبوا اليه بأن الله تعالى لما بنى بيتا في السماء تطوف به الملائكة وهو البيت المعمور الذى جاء ذكره في القرآن ،وصح في حديث مسلم " انه يدخله كل يوم سبعون الف ملك يطوفون به لا يعودون اليه مرة اخرى"[2] امر الملائكة ان يبنوا الكعبة في الارض بحياله على قدره ومثاله ليطوف به اهل الارض[3] . وبالبحث في كتب السنة لم نجد حديثا صحيحا يدل على ماقالوه من ان الملائكة هي اول من بنت البيت الحرام في الارض .

وذهب جماعة آخرون منهم الى ان آدم هو اول من بناه وايدوا قولهم بانه : قد ورد انه حين اهبط آدم الى الارض استوحش فأوحى الله تعالى اليه : ان ابن لي بيتا في الارض تعبدني فيه ويطوف حوله الناس على غرار مارأيت من طواف الملائكة في السماء بالعرش[4]. فبنى آدم - عليه السلام - الكعبة المشرفة بعد ان بين الله تبارك وتعالى له مكانها

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٢٢٨) .
(٢) صحيح مسلم - كتاب الايمان (١ : ١٠١) دار الطباعة العامرة ١٣٢٩هـ.
(٣) اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار للازرقي (١ : ٤) .
(٤) تفسير الطبري (١ : ٥٤٧) .

الذى تبنى فيه كما قال تعالى : " واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت"[1] ، فكانت اول بيت وضع للناس فى الارض للعبادة والطواف حوله ، وبقى البيت حتى جاء الطوفان فى زمن نوح عليه السلام فعم الطوفان جميع الارض بما فى ذلك البيت وكان ربوة مرتفعة مدرة حمراء فى موضعه[2] ، حتى بعث الله عز وجل ابراهيم - عليه السلام - فأمره ان يعيد بناء الكعبة فيرفع بناءها على اسسها التى كانت لها منذ بناء آدم - عليه السلام - ، وبالبحث لم نجد حديثا صحيحا ورد فى ذلك يشهد لما قالوه من أن آدم هو اول من بنى البيت الحرام غير انه قد يفهم من قوله تعالى : " ان اول بيت وضع للناس"[3] ، ان يكون آدم هو الذى بناه لاجل الناس ليعبدوا الله فيه ويطوفوا به وليست الملائكة اذ ليس فى الاية ما يفيد انه موضوع للملائكة حتى تبنيه قبل آدم والناس ، وهناك من جمع منهم بين القولين فقال : ان اول من بنى البيت الحرام هو آدم مع الملائكة وهى دعوى ايضا ليس لها دليل صحيح يؤيدها .

والحق : ان تعيين اول من بنى البيت لم يثبت فيه حديث صحيح .

كذلك اختلف العلماء فى عدد المرات التى بنى فيها البيت الحرام :

فذهب بعضهم الى ان ما ثبت من ذلك خمس مرات[4] :

الاولى : هى ما ذكروه من انه بناء آدم او الملائكة على ما سبق من خلاف فى ذلك وقد ذكرنا انه لم يثبت عندنا تعيين اول من بناه لكن

---

(١) الحج : ٢٦ .

(٢) فتح البارى (٦ : ٤٠٢) ، تفسير الطبرى (١ : ٥٤٧) .

(٣) آل عمران : ٩٦ .

(٤) من المخطوطة : " مثير الغرام فى فضل سيدنا الخليل عليه السلام " =

يفهم من قول الله تعالى " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت" ان القواعد كانت موضوعة قبل ابراهيم ، وان البيت بنى قبله وان لم يثبت عندنا تعيين من بناه وعلى ذلك فان ابراهيم عليه السلام يكون ثانى من بنى الكعبة المشرفة .

المرة الثانية : هى بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وذلك ان الله تعالى قد بوأ لابراهيم مكان البيت وامره ان يعيد بناء الكعبة فيرفع بناءها على اسسها التى كانت لها ، فيكون ابراهيم واسماعيل عليهما السلام هما اللذان بنيا البيت الحرام للمرة الثانية وطهراه للطائفين، والعاكفين والركع السجود .

الثالثة : بناء قريش فى الجاهلية ، وقد حضره صلى الله عليه وسلم .

الرابعة : بناء ابن الزبير .

الخامسة : بناء الحجاج . (ا.هـ من المخطوطة)

وهناك من قال ان ابراهيم - عليه السلام - هو اول من بنى البيت وأيدوا ذلك بأنه هو الذى ذكر فى القرآن الكريم ، ولا نعلم حديثا صحيحا على ان غيره بناه قبله غير ان هذا القول يضعفه قول الله تعالى : "واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت"[1] فان رفع القواعد يقتضى وجودها قبل رفعها وهو يدل على وجود بان ومؤسس للبيت قبل ابراهيم - عليه السلام .

= لتاج الدين اسحاق التدمرى الكلابى الشافعى . الفصل السادس، " فى بدء بناء الكعبة وصفتها ومن بناها الى وقتنا هذا" .
مكتبة عارف حكمت، رقم ٢٢٨ ، زاوية التاريخ .

(١) البقرة : ١٢٧ .

وهنا اختلف اهل العلم فيمن امر ببناء البيت هل هو ابراهيم وحده او ابراهيم واسماعيل معا ؟

" والذى عليه اكثر المفسرين ومنهم الفخر الرازى ان اسماعيل كان شريكا لابيه فى البناء، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى : " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم[1] فان التقدير : واذ يرفع ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت ووجه الدلالة من الاية :

اولا : ان الله تعالى عطف اسماعيل على ابراهيم فلابد وان يكون ذلك العطف فى فعل من الافعال التى سلف ذكرها ولم يتقدم الا ذكر رفع قواعد البيت، فوجب ان يكون اسماعيل معطوفا على ابراهيم فى ذلك .

ثم ان اشتراكهما فى بناء الكعبة يحتمل احد امرين :

اما : بان يشتركا فى البناء ورفع الجدران، واما ان يكون احدهما بانيا والاخر مساعدا يرفع اليه الحجر والطين ويهيئ له الالات والادوات، وعلى كل من الامرين فانه يصح اضافة الرفع اليهما .

ثانيا : ان قوله تعالى " تقبل منا " ليس فيه مايدل على انه تعالى ماذا يقبل فوجب صرفه كما يقول الرازى الى المذكور السابق وهو رفع البيت فاذا لم يكن ذلك من فعله كيف يدعو الله بأن يتقبل منه[2] .

ثم كان البناء الثالث " وهو بناء قريش لها وهو البناء الذى حضره النبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ورفع فيه الحجر الاسود ووضعه فى مكانه

---

(١) البقرة : ١٢٧ .

(٢) تفسير الفخر الرازى (٤ : ٦٣ - ٦٤) .

من البيت بعد ان اختلفت القبائل فيمن يرفعه وكاد ان يكون بينهم قتال وشر[١] . ثم كان البناء الرابع وهو بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فقد هدم الكعبة وبناها على الوضع الذى كان يريد النبى صلى الله عليه وسلم عليه بعد ان سمع حديثا من خالته عائشة رضى الله عنهما يقول فيه حدثتنى خالتى - يعنى عائشة - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعائشة لولا ان قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالارض وجعلت لها بابين ، بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة اذرع من الحجر فان قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة[٢] . وجاء فى معناه حديث آخر عند مسلم رحمه الله تعالى والحديث طويل وجاء فيه :" وقال ابن الزبير انى سمعت عائشة - رضى الله عنها - تقول ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : لولا ان الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة مايقوى على بنائه لكنت ادخلت فيه من الحجر خمس اذرع ولجعلت لها بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه قال فأنا اليوم اجد ماأنفق ولست اخاف الناس قال فزاد فيه خمس اذرع من الحجر حتى ابدى أسا

---

(١) بتصرف من كتاب " السيرة النبوية" لابن كثير (١ : ٢٧٤) تحقيق مصطفى عبد الواحد - دار المعرفة - بيروت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .
وكتاب " السيرة النبوية " لابن هشام (١ : ٢٠٩ - ٢١٠) تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م
وكتاب " الوفا بأحوال المصطفى " لابن الجوزى (١ : ١٤٦ - ١٤٧) ، تحقيق مصطفى عبد الواحد - الطبعة الاولى ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م - مطبعة السعادة بمصر .
وكتاب " بهجة المحافل وبغية الاماثل فى تلخيص المعجزات والسير والشمائل" لعماد الدين يحيى العامرى (١ : ٤٩) .

(٢) صحيح مسلم جـ٤ ص ٩٨ .

نظر الناس اليه فبنى عليه البناء ، وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعا فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله عشر اذرع وجعل له بابين احدهما يدخل منه والاخر يخرج منه[١] ثم جاء البناء الخامس وهو بناء الحجاج ابن يوسف الثقفي لها فقد جاء في صحيح مسلم انه " لما قتل ابن الزبير كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك وان ابن الزبير قد هدم الكعبة وبناها على اس نظر اليه العدول من اهل مكة فكتب اليه عبد الملك انا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء أما مازاد في طوله فأقره واما مازاد فيه من الحجر فرده الى بنائه وسد الباب الذي فتحه فنقضه واعاده الى بنائه[٢] الذي كان عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ان بناه الحجاج على الاس الذي كان عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ندم عبد الملك بن مروان على فعله بعد ان علم ان ابن الزبير انما بناه بناء على ماصح عنده من حديث خالته عائشة رضي الله عنها وتمنى ان لو ترك البيت على مابناه ابن الزبير وماتحمله من ذلك ، وذلك لما رواه مسلم في صحيحه من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة " ان قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عهدهم بالشرك اعدت ماتركوا منه فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوه فهلمي لاريك ماتركوا منه فأراها قريبا من سبعة اذرع - وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لها ولجعلت لها بابين موضوعين في الارض شرقيا وغربيا ، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها ، قالت : قلت لا ، قال : تعززا ان لا يدخلها الا من

---

(١) صحيح مسلم (٤ : ٩٩) .

(٢) صحيح مسلم (٤ : ٩٩) .

ارادوا فكان الرجل اذا هو اراد ان يدخلها يدعونه يرتقي حتى اذا كاد ان يدخل دفعوه فسقط، قال : عبدالملك للحارث : انت سمعتها تقول هذا ؟ قال : نعم، قال : فنكت ساعة بعصاه ثم قال وددت انى تركته وما تحمل[1].

وروى ان الرشيد ذكر لمالك بن انس انه يريد هدم مابنى الحجاج من الكعبة وان يرده على بناء ابن الزبير لما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وامتثله ابن الزبير، فقال له مالك : ناشدتك الله ياأمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء احد منهم الا نقض البيت وبناه فتذهب هيبته من صدور الناس فرجع الرشيد عما عزم عليه درءًا للفتن وسدا للذريعة، ودفعا للتجرؤ على بيت الله تعالى وصيانة لحرمة هذا البيت الكريم[2] وهكذا بقى البيت على ذلك الى عصرنا هذا .

وهناك من ذهب من اهل السير الى ان البيت بنى اكثر من ذلك فقد ذكر صاحب العقد الثمين ان الكعبة بنيت عشر مرات هى :

بناء الملائكة - بناء آدم - بناء اولاده - بناء الخليل - بناء العمالقة - بناء جرهم - بناء قصى بن كلاب - بناء قريش - بناء عبد الله بن الزبير - بناء الحجاج بن يوسف الثقفى[3] . ا.هـ

فزاد بناء الملائكة قبل آدم ثم بناء ابناء آدم لها بعد آدم ثم

---

(١) صحيح مسلم (٤ : ٩٩ - ١٠٠) .

(٢) تاريخ ابن كثير (١ : ١٦٦) ، تفسير القرطبى (٢ : ١٢٥) - الطبعة الثالثة - دار القلم ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

(٣) العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين لابى الطيب التقى الفاسى (١ : ٤٧) ، الباب السابع : فى اخبار عمارة الكعبة المعظمة .

بناء العمالقة بعد ابراهيم ثم بناء جرهم قبل قصى ثم بناء قصى قبـــــل قريـــــش .

غير انه لم يذكر لنا سندا صحيحا على مازاده من عدد المرات لبناء الكعبة وانما هى اقوال بنيت على مجرد التخمين والظن ،والظن لا يغـــــنى عن الحق شيئا والله تبارك وتعالى اعلم .

* * *
* *
*

الباب الرابع

ابتلاءات الخليل ابراهيم عليه السلام كما جاءت في القرآن

الفصل الاول : في بيان ابتلاء الله تعالى خليله ابراهيم - عليه السلام - بالكلمات .

الفصل الثاني : في بيان ابتلاء الله تعالى خليله ابراهيم - عليه السلام - بالقائه في النار .

الفصل الثالث : في بيان ابتلاء الله تعالى خليله ابراهيم - عليه السلام - بذبح ولده اسماعيل .

الفصـــل الاول
فى بيان ابتلاء الله تعالى خليله ابراهيم-عليهالسلام بالكلمـــــات

اختلف المفسرون فى بيان المراد بالكلمات التى ابتلى الله تبـــارك وتعالى بها خليله ابراهيم -عليه السلام -على اقوال :

الاول :

هى عشر من الفطرة وهى :

" المضمضة والاستنشاق وقص الشارب واعفاء اللحية وفرق الرأس ونتـف الابط وتقليم الاظفار وحلق العانةوالاستطابة والختان "[1].

ذكره ابو حيان فى البحر المحيط والالوسى فى روح المعانى ونسباه الى ابن عباس .

وذكره ابن جرير الطبرى وابن كثير والبغوى والقرطبى والـــــرازى والخازن والجمل وابو السعود فى تفاسيرهم ونسبوه الى ابن عباس رضـــى الله عنهما ،وذكره الزمخشرى فى الكشاف والجلالان بصيغة قيل والنسفـــى وابو حيان فى احد الاقوال ولم يعزوه الى احد ،الا انهم غايروا فى بيـــان

---

(١) قال الخازن فى تفسيره مبينا حكم هذه الكلمات :" اما قص الشـــارب واعفاء اللحية انما كان ذلك مخالفة للاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم او يوفرون شواربهم او يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافـــة واما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعـــام والقلح والوسخ ،واما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالـــت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها ،واما حلق العانة ونتف الابـــط فللتنظف عما يجمع من الوسخ فى الشعر،واما الاستنجاء فلتنظيــف=

بعض تلك العشرة فذكروا من بينهن السواك بدلا من اعفاء اللحية[1] .

الثانى :

" روى عن ابن عباس : انها ثلاثون سهما هن شرائع الاسلام ، عشر منها فى سورة براءة وهى فى قوله تعالى : " التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين"[2] ، وعشر فى سورة الاحزاب وهى فى قوله تعالى : " ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما"[3] ، وعشر فى سورة " المؤمنون " و " سأل سائل " اما التى فى سورة المؤمنون فهى قوله تعالى : " قد افلح المؤمنون الذين هم فى

= ذلك المحل عن الاذى ، واما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول " اهـ تفسير الخازن (١ : ٩٥) .

(١) انظر تفسير : البحر المحيط لابى حيان (١ : ٣٧٥) ، روح المعانى للالوسى (١ : ٣٧٤) ، جامع البيان للطبرى (٣ : ٩) ، القرآن العظيم لابن كثير (١ : ١٧٠) ، البغوى بابن كثير (١ : ٣٠٢) ، القرطبى (٢ : ٩٨) ، الرازى (٤ : ٤١) ، الخازن (١ : ٩٥) ، الزمخشرى (١ : ٧٢) ، الجلالين (١ : ١٨) ، النسفى (١ : ٥٧) ، الفتوحات الالهية للجمل (١ : ١٠٢) ، ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم لابى السعود (١ : ١٢٠) .

(٢) التوبة : ١١٢ .

(٣) الاحزاب : ٣٥ .

صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكـــــواة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم او ماملكت ايمانهــم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هــم لامانتهم وعهدهم راعون ، ~~والذين هم بشهاداتهم قائمون~~ ، والذين هــم على صلواتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هــم فيها خالدون " .[1]

واما التي في " سأل سائل " فهي قوله تعالى : " والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، والذين يصدقون بيوم الدين ، والذيــن هــم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون "[2] [3] ، وهو منسوب الـــى ابن عباس ولم ينسبه البيضاوي والزمخشري والشوكاني الى احد .

الثالث :

" روى عن الحسن البصري ان الله تعالى ابتلاه بسبعة اشياء هي : الكواكب والشمس والقمر والختان وذبح ابنه والنار والهجرة .

---

(١) سورة " المؤمنون " : ١ - ١١ .

(٢) سورة المعارج : ٢٤ - ٢٨ .

(٣) انظر تفسير :

الطبري (٣ : ٨) ، ابن كثير (١ : ١٧٠) ، القرطبي (٢ : ٩٧) الخازن (١ : ٩٥) ، الرازي (٤ : ٤١ - ٤٢) ، الالوسي (١ : ٣٧٤) ، البحر المحيط (١ : ٣٧٥) ، الزمخشري (١ : ٧٢) ، البغوي بابن كثـير (١ : ٣٠١ - ٣٠٢) ، النسفي (١ : ٥٧) ، البيضاوي (ص ٢٥) ، فتح القدير للشوكاني (١ : ١١٨) ، ارشاد العقل السليم الـــى مزايا القرآن الكريم لابي السعود (١ : ١٢٠) .

ذكره الالوسى وابن جرير وابن كثير والرازى والبغوى والجمل فى تفاسيرهم ونسبوه الى الحسن البصرى ، وذكره الخازن والزمخشرى وابو السعود فى تفاسيرهم بصيغة " قيل " ولم يعزوه الى احد .

وقريب من هذا ماروا ه ابو حيان والقرطبى وابن كثير فى تفاسيرهم وابن كثير فى عمدة التفسير ، عن الحسن البصرى ان الذى ابتلى به ابراهيم ست خصال هى : الكواكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان وقال ابو حيان : وقيل بدل الهجرة الذبح .

وقد جعل ابن كثير ذبح الولد بدلا من النار .

ونحو من هذا ماروا ه البيضاوى فى تفسير حيث قال : ابتلى بأشياء هى : الكواكب والقمر والشمس وذبح الولد والنار والهجرة ولم ينسب هذا القول الى احد . وقد جعل ذبح الولد بدلا من الختان"[1] .

الرابع :

" قيل هى ماتضمنته الايات بعد من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وهى قوله تعالى : " واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين واذ جعلنا البيت مثابة للناس وآمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود

---

(١) الالوسى (١ : ٣٧٤) ، ابن جرير (٣ : ١٤) ، الرازى (٤ : ٤٢) - البغوى مقرون بابن كثير (١ : ٣٠٣) ، الفتوحات الالهية للجمل (١ : ١٠٢) ، الخازن (١ : ٩٦) ، ارشاد العقل السليم لابى السعود (١ : ١٢٠ - ١٢١) ، الزمخشرى (١ : ٧٢) ، ابو حيان (١ : ٣٧٥) ، القرطبى (٢ : ٩٨) ، ابن كثير (١ : ١٧٠ - ١٧١) ، عمدة التفسير (١ : ٢٣٢) ، البيضاوى (ص ٢٥) .

واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير، واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم[1] ، ذكره الالوسي في تفسيره بصيغة " قيل " ولم يعزه الى احد ، وكذلك ذكره الزمخشري في كشافه ولم يعزه الى احد ، وذكره ابن كثير في تفسيره ونسبه الى الربيع بن انس، وبنحو ماذكره الالوسي ذكره القرطبي وابن كثير في تفسيريهما ونسباه الى مجاهد[2].

الخامس :

"ان الكلمات التي ابتلى الله تعالى بها ابراهيم عليه السلام - هي كل مسألة سألها ابراهيم ربه في القرآن ، ذكره ابو حيان في البحر المحيط ونسبه الى مقاتل ، وذكره الزمخشري في كشافه عن مقاتل ايضا الا انه حصرها في اربع مسائل فقط وهي قوله تعالى : " رب اجعل هذا بلدا آمنا[3]"، "واجعلنا مسلمين لك[4]"، " وابعث فيهم رسولا منهم[5]"، " ربنا تقبل منا[6]" . وبه قال

(١) البقرة : ١٢٤ - ١٢٨ .

(٢) تفسير الالوسي (١ : ٣٧٤) ، الزمخشري (١ : ٧٢) ، ابن كثير (١ : ١٧١) ، القرطبي (٢ : ٩٧) .

(٣) ابراهيم : ٣٥ .

(٤) البقرة : ١٢٨ .

(٥) البقرة : ١٢٩ .

(٦) البقرة : ١٢٧ .

النسفى على انها فى قراءة ابن عباس برفع ابراهيم ان المراد بالكلمات هـي ماسأل ابراهيم ربه فى هذه الايات، وعلى هذا فيكون " ابتلى " تضمنت معنى سأل، ويكون الكلام من باب السؤال [١].

السادس :

" مناسك الحج خاصة كالطواف والسعى والرمى والاحرام والتعريف وغيرهن [٢] نسبه ابن جرير والقرطبى وابو حيان والرازى والبغوى الى قتادة عن ابن عباس، ورواه الخازن والزمخشرى والنسفى بصيغة " قيل " ولم ينسبوه الى احد .

السابع :

هى قول : " سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم " وقول " ربنا تقبل منا " ذكره ابو حيان في البحر المحيط والبغوى بنحوه فى " معالم التنزيل " ونسباه الى سعيد بن جبير رحمه الله تعالى [٣].

الثامن :

هى قوله تعالى : " وحاجة قومه " ذكره ابو حيان فى البحر المحيط

---

(١) البحر المحيط لابى حيان (١ : ٣٧٥) ، الزمخشرى (١ : ٧٢) ، النسفى (١ : ٥٧) .

(٢) تفسير ابن جرير (٣ : ١٢) ، القرطبى (٢ : ٩٨) ، ابى حيان (١ : ٣٧٥) الرازى (٤ : ٤٢) ، البغوى بابن كثير (١ : ٣٠٣) ، الخازن (١ : ٩٦) الزمخشرى (١ : ٧٢) ، النسفى (١ : ٥٧) .

(٣) البحر المحيط لابى حيان (١ : ٣٧٥) ، معالم التنزيل للبغوى (١ : ٣٠٤).

والبغوى فى معالم التنزيل ونسباه الى يمان بن رباب .

وجاء بمعناه عند الرازى حيث قال : المناظرات الكثيرة فى التوحيد مع ابيه وقومه ومع نمروذ ولم ينسبه الى احد[1] .

التاسع :

هى قوله تعالى : " الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحين ، والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين ، رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الاخرين ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ، ولا تخزنى يوم يبعثون[2] ، ذكره ابو حيان فى البحر المحيط ونسبه الى ابى روق ، وذكره البغوى فى تفسيره بصيغة قيل ولم ينسبه الى احد[3] .

العاشر :

هى ما ابتلاه به فى ماله وولده ونفسه ، فسلم ماله للضيفان ، وولده للقربان ، ونفسه للنيران ، وقلبه للرحمن فاتخذه الله خليلا .

ذكره ابو حيان فى البحر ولم ينسبه الى احد ، وجاء بمعناه عند ابن كثير فقال : صبره على قذفه فى النار - وماأمره به من الضيافة والصبر عليهما بنفسه وماله وما ابتلى به من ذبح ابنه حين امر بذبحه ، وعزاه ابن كثير

---

(١) التفسير الكبير للرازى (٤ : ٤٢) معالم التنزيل للبغوى (١ : ٣٠٤) ، البحر المحيط لابى حيان (١ : ٣٧٥) .

(٢) الشعراء (٧٨ - ٨٧) .

(٣) تفسير البحر المحيط لابى حيان (١ : ٣٧٥) ، البغوى (١ : ٣٠٤) .

الى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما[1].

الحادى عشر :

هى : شهادة ان لا اله الا الله وهى الملة، والصلاة وهى الفطرة والزكاة وهى الطهرة، والصوم وهو الجنة، والحج وهو الشميرة، والغزو وهو النصرة، والطاعة وهى العصمة، والجماعة وهى الالفة، والامر بالمعروف وهو الوفاء والنهى عن المنكر وهو الحجة . ذكره ابو حيان فى البحر المحيط ولم ينسبه الى احد[2].

وقال ابو حيان فى البحر المحيط :" وهذه الاقوال ينبغى ان تحمل على ان كل قائل منها ذكر طائفة مما ابتلى الله تعالى به ابراهيم اذ كلها ابتلاه بها ولا يحمل ذلك على الحصر فى العدد ولا على التعيين لئلا يؤدى ذلك الى التناقض[3]. ا.هـ

وقال محمد احمد العدوى فى كتابه " دعوة الرسل" :

" يرينا الله تعالى انه اختبر ابراهيم عليه السلام بتكاليف فأتمها ابراهيم وقام بها كما يريده الله تعالى ولم يبين لنا ماهذه الكلمات وماعددها وحسبنا ان نعرف انها تكاليف اختبر بها نبى من الانبياء فأداها كاملة غير منقوصة[4]. ا.هـ

---

(١) تفسير البحر المحيط لابى حيان (١ : ٣٧٥) ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١ : ١٧٠) .

(٢) البحر المحيط لابى حيان (١ : ٣٧٥) .

(٣) البحر المحيط لابى حيان (١ : ٣٧٥ - ٣٧٦) .

(٤) دعوة الرسل لمحمد احمد العدوى (ص ٤٠) .

وقال ابو حيان فى البحر المحيط : (" وهذه الاشياء التى فسر بها الكلمات ان كانت اقوالا فذلك ظاهر فى تسميتها كلمات، وان كانت افعالا فيكون اطلاق الكلمات عليها مجازا، لان التكاليف الفعلية صدرت عن الاوامر والاوامر كلمات سميت الذات كلمة لبروزها عن كلمة : كن قال تعالى " وكلمته القاها الى مريم"[1])[2] .

قال ابن جرير الطبرى فى تفسيره :

" والصواب من القول فى ذلك عندنا ان يقال ان الله عز وجل اخبر عباده انه اختبر ابراهيم خليله بكلمات اوحاهن اليه وامره ان يعمل بهن واتمهن كما اخبر الله جل ثناؤه عنه انه فعل .

وجائز ان تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله فى تأويل الكلمات .

وجائز ان تكون بعضه لان ابراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وامره الواجب عليه فيه، واذا كان ذلك كذلك فغير جائز لاحد ان يقول عنى الله بالكلمات التى ابتلى بهن ابراهيم شيئا من ذلك بعينه دون شىء ولا عنى به كل ذلك الا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم او اجماع من الحجة ولم يصح فى شىء من ذلك خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التى يجب التسليم لما نقلته غير انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى نظير معنى ذلك خبران لو ثبتا او احدهما كان القول به فى تأويل ذلك هو الصواب :

---

(١) النساء : ١٧١ .

(٢) البحر المحيط لابى حيان (١ : ٣٧٦) .

احدهما ماحدثنا به ابو كريب قال ثنا رشدين بن سعد قال حدثني زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن انس عن ابيه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الا اخبركم لما سمى الله ابراهيم خليله " الذي وفى " لانه كان يقول : كلما اصبح وكلما امسى " فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون "(١) .

والاخر منهما : ماحدثنا به ابو كريب قال ثنا الحسن بن عطية قال ثنا اسرائيل عن جعفر ابن الزبير عن القاسم عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " وابراهيم الذي وفى "(٢) قال : اتدرون ماوفى ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم . قال : وفى عمل يومه اربع ركعات في النهار فلو كان خبر سهل بن معاذ عن ابيه صحيحا سنده كنا بينا ان الكلمات التي ابتلى بهن ابراهيم عليه السلام - فقام بهن هو قوله كلما اصبح وامسى " فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون " .

او كان خبر ابي امامة عدولا نقلته كان معلوما ان الكلمات التي اوحين الى ابراهيم - عليه السلام - فابتلي بالعمل بهن ان يصلي كل يوم اربع ركعات غير انهما خبران في اسانيدهما نظر(٣) .

---

(١) الروم : ١٧ - ١٨ .
(٢) النجم : ٣٧ .
(٣) قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره مانصه : " ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين وهو كما قال فانه لا يجوز روايتهما الا ببيان ضعفهما ، وضعفهما من وجوه عديدة ، فان كلا من السندين =

ثم قال ابن جرير : والصواب من القول في معنى الكلمات التي اخبر الله تعالى انه ابتلى بهن ابراهيم مابينا آنفا ،ولو قال قائل في ذلك ان الذي قاله مجاهد وابو صالح والربيع بن انس انها الايات بعد قوله تعالى : " واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن"[1] ، وهي قوله " انى جاعلك للناس اماما"[2] ،وقوله : " واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا"[3]، وقوله : " واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى"[4] ، وقوله : " وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود"[5] وقوله " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل"[6] ـ اولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم كان مذهبا لان قوله : " انى جاعلك للناس اماما" وقوله " وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين" ،وسائر الايات التي هي نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله انه ابتلى بهن ابراهيم[7]. ا.هـ

وقد تعقب ابن كثير في كتابه " عمدة التفسير " ابن جرير فقال

= مشتمل على غير واحد من الضعفاء مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه والله ـ تعالى ـ اعلم" . ا.هـ تفسير ابن كثير (١ : ١٧٢).

(١) البقرة : ١٢٤ .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

(٣) البقرة : ١٢٥ .

(٤) البقرة : ١٢٥ .

(٥) البقرة : ١٢٥ .

(٦) البقرة : ١٢٧ .

(٧) تفسير الطبرى (٣ : ١٥ - ١٧) .

قال ابن جرير ماحاصله :

(" انه يجوز ان يكون المراد بالكلمات جميع ماذكر، وجائز ان يكون بعض ذلك، ولا يجوز الجزم بشيء منها انه المراد على التعيين الا بحديث او اجماع، قال : ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له .

ثم قال ابن كثير : والذي قاله اولا (يعني ابن جرير) من ان الكلمات تشمل جميع ماذكر اقوى من هذا الذي جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله لان السياق يعطي غير ماقالوه والله اعلم")[1] . ا.هـ

الرد على ابن كثير والانتصار لابن جرير :

واري ان الذي قاله ابن جرير اخيرا وهو قوله :" ولو قال قائل ان الذي قاله مجاهد وابو صالح والربيع بن انس انها الايات بعد قوله تعالى " واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن"[2] اولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم كان مذهبا لان قوله " اني جاعلك للناس اماما"[3] وقوله " وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين"[4] وسائر الايات التي هي نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله انه ابتلى بهن ابراهيم"[5] .

---

(١) في كتاب التفسير (١ : ١٧١ - ١٧٢) ، وعمدة التفسير لابن كثير (١ : ٢٣٢) تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

(٣) البقرة : ١٢٤ .

(٤) البقرة : ١٢٥ .

(٥) تفسير الطبري بتصحيح احمد محمد شاكر (٣ : ١٧) .

ارى ان هذا القول له وجاهته لانه يتفق واسلوب القرآن الكريم ذلك ان البيان بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال امر معهود فى اسلوب القرآن كما انه اقرب الى الاسلوب العربى من غيره على ان قوله هذا لا ينافى ماذهب اليه اولا من ان الصواب عدم تعيين الكلمات لان جميع الاقوال التى قيلت فى بيان الكلمات مبنية على الظن والتخمين وليس لواحد منها دليل يسنده او وجه يؤيده .

وايا ماقيل فى تفسير هذه الكلمات سواء ماذكرناه منها هنا ومالم نذكره ،ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قد قام بعملهن خير قيام من غير تفريط او توان ،واتمهن على الوجه الذى امره به ربه عز وجل خير اتمام لم ينتقص منهن شيئا ،ومن ثم استحق من ربه تبارك وتعالى المدح له والثناء عليه بقوله جل شأنه " وابراهيم الذى وفى "[1] حيث قام بتوفية ماطلبه منه وامتحن به ،واتمامه ماكلفه به وابتلى به على وجه يرضى ربه سبحانه وتعالى .

---

(١) النجم : ٣٧ .

وجه الابتلاء .

" هو ان الله تعالى كلف ابراهيم عليه السلام بأمور فيها كثير من المشقة والجهد والصعوبة مما لا يقوى عليها الا كل من اختاره الله تعالى واصطفاه ،ولقد استطاع ابراهيم عليه السلام رغم هذه التكاليف الشاقة المرهقة ان يقوم بأدائها خير قيام ومن ثم مدحه الله تبارك وتعالى بذلك فقال " وابراهيم الذى وفى "[1] .

ومن فوائد هذا الابتلاء كما يقول محمد احمد العدوى فى كتابه دعوة الرسل :" تعريف ابراهيم عليه السلام بنفسه وانه جدير بما اختصه الله تعالى به وتقويته له على القيام بما يوجه اليه ،وهذه الكلمات التى اختبر بها نبى الله ابراهيم كالتمهيد لجعله اماما للناس ولذلك يقول عقبها " انى جاعلك للناس اماما" والمراد ان ابراهيم عليه السلام جدير بذلك المنصب الجليل وهو امامة الناس"[2] . ا.هـ

ثم قال العدوى :" ولعلنا نلمح من هذه القصة ان منزلة الرجل من ربه تعالى تكون بمقدار قيامه بما اوجبه الله عليه ،وعنايته بالتكاليف والناس جدا متفاوتون فى اداء اولئك التكاليف " ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير"[3][4] .

---

(١) النجم : ٣٧ .

(٢) كتاب " دعوة الرسل الى الله تعالى " محمد احمد العدوى (ص٤٠) ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

(٣) فاطر : ٣٢ .

(٤) كتاب " دعوة الرسل الى الله تعالى " محمد احمد العدوى (ص٤٠) .

الاختلاف في الابتلاء بالكلمات هل كان قبل النبوة او بعدها ؟

قال الرازى فى تفسيره قال القاضى :

(" هذا الابتلاء انما كان قبل النبوة لان الله تعالى نبه على ان قيامه -عليه الصلاة والسلام- بهن كالسبب لان يجعله الله تعالى اماما ، والسبب مقدم على المسبب فوجب كون هذا الابتلاء متقدما فى الوجود على صيرورته اماما وهذا ايضا ملائم لقضايا المعقول ، وذلك لان الوفاء شرائط النبوة لا يحصل الا بالاعراض عن جميع ملاذ الدنيا وشهواتها وترك المداهنة مع الخلق وتقبيح ماهم عليه من الاديان الباطلة والعقائد الفاسدة ، وتحمل الاذى من جميع اصناف الخلق ولا شك ان هذا المعنى من اعظم المشاق واجل المتاعب ولهذا السبب يكون الرسول -عليه الصلاة والسلام- اعظم اجرا من امته ، واذا كان كذلك فالله تعالى ابتلاه بالتكاليف الشاقة فلما وفى عليه الصلاة والسلام بها لا جرم اعطاه خلعة النبوة والرسالة (١) .

وقال آخرون : انه بعد النبوة لانه -عليه الصلاة والسلام- لا يعلم كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحى فلابد من تقدم الوحى على معرفته بكونه كذلك ") (٢) ، واستصوب الخازن انه : " ان فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة ، وان فسر بما وجب عليه من شرائع

---

(١) وهذا القول ظاهر الرد ، وبيان ذلك : ان ابراهيم -عليه السلام- اما ان يكون قيامه بتلك التكاليف متبعا فيها نبيا آخر ، ولم نعلم انه -عليه السلام- كان متبعا لنبى آخر ، او ان قيامه بها كان عن طريق الوحى بواسطة جبريل -عليه السلام- ، وجبريل -عليه السلام- لا ينزل بالوحى الا على الانبياء -عليهم الصلاة والسلام- فكيف اذا يعطى خلعة النبوة والرسالة بعد قيامه بتلك التكاليف .

(٢) تفسير الفخر الرازى (٤ : ٤٢) .

الدين كان ذلك بعد النبوة[١] ،وارى ان ما استصوبه الخازن فى تفسيره له وجاهته ذلكانه لو فسرت الكلمات بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك ممكنا قبل النبوة لان ابراهيم عليه السلام نشأ فى قوم يعبدون الاصنام والكواكب،وكان هذا من باب الابتلاء له الا انه عليه الصلاة والسلام ادرك بطبيعته الصافية وبشريته النقية وبحفظ الله تعالى له وتوفيقه نقصان هذه المعبودات وبطلان عبادتها فحفظه الله تعالى ان يفعل فعلهم او يميل اليها معهم ولا شك ان هذا كان منذ نشأته وقبل نبوته حتى قيل " ان ابراهيم عليه السلام كان يأمره والده ببيع الاصنام التى يصنعها فيقول من يشترى مالا يضره ولا ينفعه[٢] .

وكان ينطلق بها الى النهر بعد ان يصيبها الكساد ولا يشتريها منه احد فيصوب رؤوسها فيه ويقول مستهزئا : اشربى[٣]" .

ويؤيد ذلك ان الله تعالى اذا اختار احدا من خلقه للنبوة والرسالة هيأه لها من الصغر .

قال تعالى :" الله اعلم حيث يجعل رسالته[٤]"وقد قال تعالى فى حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام " ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين[٥]" ،اما لو فسرت الكلمات بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة ضرورة ان هذه الشرائع انما تأتى عن طريق الوحى ولا يكون ذلك الا بعد النبوة .   ا.هـ   والله اعلم .

---

(١) تفسير الخازن (١ : ٩٦) .

(٢) الكامل فى التاريخ لابن الاثير (١ : ٩٦) .

(٣) تاريخ ابن الاثير (١ : ٩٦) .

(٤) الانعام : ١٢٤ .

(٥) الانبياء : ٥١ .

* * *

الفصل الثاني
في بيان ابتلاء الله تعالى خليله ابراهيم -عليه السلام- بالقائه في النار

لما نبه ابراهيم -عليه السلام- قومه الى قبيح ما ارتكبوه من عبادة الاصنام والاوثان وغلبهم باقامة الحجة عليهم، واخذ عليهم طرق الجدل والكلام، وقهرهم بالسلطان والبرهان -دحضت حجتهم وبان عجزهم وظهر الحق واندحر الباطل فعدلوا الى استعمال جاه ملكهم وقوة سلطانهم فقالوا "حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين"[1]، وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا بهت وقرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح امره لاذ بالايذاء وفزع الى المناصبة فأقدموا على احراقه غضبا لآلهتهم المزعومة ونصرة لها فاختاروا له اشد انواع العذاب وهو الاحراق بالنار التي هي سبب للاعدام المحض والاتلاف بالكلية ليطفئوا ما تأجج في صدورهم من الحقد عليه بسبب ما ارتكبه من تحطيم معبوداتهم جزاء له في زعمهم وردعا لامثاله ممن يقدم على مثل فعله ولا ذنب له الا ان يقول ربي الله، لكنه منطق الحديد والنار والظلم والتعسف والطغيان الذي لا يعرف الطغاة منطقا سواه عندما تعوزهم الحجة وينقصهم الدليل وحينما تحرجهم كلمة الحق الخالصة ذات السلطان المبين، وهذا شأن الظالمين العتاة في كل زمان ومكان اذا فشلوا امام الحق هرعوا الى الانتقام من اتباعه والتنكيل بهم وتعذيبهم حتى تزهق ارواحهم وبذلك يسترون هزيمتهم وخزيهم وعارهم وعوارهم لئلا يكشفوا ويفضحوا على

---

(١) الانبياء : ٦٨ .

رؤوس الناس ـ فشرعوا يجمعون الحطب من كل حدب وصوب حتى تراكمت اعواده وضاق بالمكان تواجده " حتى ان المرأة على ماقيل كانت اذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطبا لحريق ابراهيم[1] ، ثم انهم بنوا له بنيانا واضرموا فيه نارا عظيمة هائلة وجحيما حامية فأوقدوا عليها حتى تأججت واحمر جمرها وتفاقم حرها وعلا شررها وامتدت السنتها واندلع لهيبها يلامس اجواء الفضاء الرحب " ويعانق طيور الجو فيحرقها "[2] ، لشدة وهجه ، وقد اعترتهم الحيرة حين ارادوا الاقدام بابراهيم لالقائه فى النار ولم يعرفوا كيف يقربون منها ويحومون حولها لالقائه فيها حتى تفتقت اذهانهم عن حيلة يستطيعون بها ان يلقوا ابراهيم ـ عليه السلام ـ فى النار وهم بعيدون عنها فصنعوا له المنجنيق[3] ، وعمدوا الى ابراهيم عليه السلام فاحكموه وثاقا ووضعوه فى كفة المنجنيق " مقيدا مكتوفا "[4] ثم القوه فى النار فأقبل عليها غير وجل ولا هياب يحدوه الرضا والتسليم لقضاء الله تعالى ، فقلبه بالايمان مفعم وصلته بالله تعالى وثيقة وتعلقه بربه عز وجل شديد واتكاله عليه عظيم لذلك اقدم عليها بصدر رحب ونفس مطمئنة " وكان آخر قول ابراهيم ـ عليه السلام ـ حين القى فى النار حسبى الله ونعم الوكيل[5] ، وهكذا اسلمه قومه للنيران ظانين ان ذلك سيكون آخر عهدهم به غير انهم ارادوا ان ينتصروا فخذلوا وقصدوا ان يغلبوا فغلبوا اذ نادى

---

(١) تاريخ ابن كثير (١ : ١٤٦) .

(٢) بتصرف من كتاب " الكامل فى التاريخ " لابن الاثير (١ : ٩٩) .

(٣) بتصرف من تاريخ ابن كثير (١ : ١٤٦) .

(٤) بتصرف من تاريخ ابن كثير (١ : ١٤٦) .

(٥) صحيح البخارى ـ كتاب التفسير ـ سورة آل عمران باب قوله تعالى " ان الناس قد جمعوا لكم " (٦ : ٣٣) .

الله تعالى النار بقوله " يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم "[١]، فلقد نـزع الله تبارك وتعالى عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر والاحـــراق وابقاها على الاضاءة والاشراق فخرج ابراهيم ـ عليه السلام ـ منها سليمـا معافى لم تنل النار منه شيئا سوى انها احرقت منه وثاقه وحلت عنه رباطـه فأبطل الله تعالى ماراموه وقصدوا اليه وخلص خليله ـ عليه السلام ـ مـــن شرهم ورد كيدهم فى نحورهم فخابوا وخسروا قال تعالى : " وارادوا بــــه كيدا فجعلناهم الاخسرين "[٢] ، وقال تعالى " فأرادوا به كيدا فجعلناهـم الاسفلين "[٣] ، وقال تعالى : " فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلــــوه او احرقوه فأنجاه الله من النار "[٤] وهكذا فقد نجى الله تعالى ـ خليلـــه ابراهيم عليه السلام ـ من نار قومه وجعلها آية للمؤمنين وعظـة وعــــبرة للمتقين ، ولم تكن الايات قد سيقت لبيان قصة احراق ابراهيم ـ عليـــــه السلام ـ فحسب ، انما جاءت تصور لنا واقع الحق مع الباطل وكيــــــف ان الباطل واهله يترصدون للحق واهله ويتربصون بهم الدوائر ولا يألـون جهدا فى التخلص منهم " يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبـــى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون "[٥] ، وان الله تعالى من وراء اصفيائه واوليائه بالنصر والتأييد والغلبة والتمكين " انا لننصر رسلنا والذين آمنـوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد "[٦].

---

(١) الانبياء : ٦٩ .
(٢) الانبياء : ٧٠ .
(٣) الصافات : ٩٨ .
(٤) العنكبوت : ٢٤ .
(٥) التوبة : ٣٢ .
(٦) غافر : ٥١ .

ومن لطيف مايحكى فى هذا المقام ان الوزغ كان ينفخ النار علـــى ابراهيم ـ عليه السلام ـ فقد روى البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ بسنده فـى صحيحه عن ام شريك رضى الله عنها : " ان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم امر بقتل الوزغ وقال : كان ينفخ على ابراهيم عليه السلام[1] وقـــال ابو حيان فى البحر المحيط : " وقد اكثر الناس فى حكاية ماجرى لابراهـيم عليه السلام ـ والذى صح هو ماذكره الله تعالى من انه القى فى النـــار فجعلها الله تعالى ـ عليه بردا وسلاما وخرج منها سالما فكانت اعظـــم آيـــة[2].

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب احاديث الانبياء ـ عليهم الصلاة والســـلام ـ (٤:١١٢) .

(٢) البحر المحيط لابى حيان (٦ : ٣٢٨) .

وجه ابتلاء ابراهيم عليه السلام بالاحراق بالنار.

لقد كان ابتلاء الله خليله ابراهيم عليه السلام بالقائه فى النار من اشد انواع الابتلاء التى تعرض لها الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - ذلك ان رؤية النار ولهيبها ومنظر تأججها وسعيرها مما تنفطر له القلوب وترتاع له النفوس ويخشاه كل الناس غير ان ابراهيم عليه السلام - وقد رأى قومه يجمعون له الحطب من كل مكان واستمروا على ذلك مدة من الزمان ثم اشعلوها نارا حامية امتدت السنتها وتأجج اوارها - لم يزده كل ذلك الا ايمانا بربه وتسليما لقضائه وقدره مفوضا اليه امره وملجأ اليه ظهره، وحين جيء به عليه السلام ليلقى فى النار وقد اجتمع الناس من كل حدب وصوب ليشهدوا احراقه ويشفوا غليلهم ممن كسر اصنامهم وسفه احلامهم ونغص عليهم عيشهم اقبل عليها يشق عباب اهوالها وعظيم فتكها وحرها برباطة جأش وقوة ايمان ومزيد صبر وثقة بالله تعالى وتوكل عليه متحديا قومه فيما يزعمونه من معبودات دون الله تعالى، وكان اجتماع القوم فى صعيد واحد امنية طالما تمناها ابراهيم - عليه السلام - ليثبت لهؤلاء بل للناس جميعا الى يوم القيامة انه نبى حق ورسول صدق مرسل من عند الله تعالى، وهكذا كان عظم الابتلاء يتناسب مع ابراهيم - عليه السلام - الذى كان امة وحده، ولا شك انه على قدر اهل العزم تأتى العزائم، وان العظائم كفؤها العظماء .

* * *

الفصل الثالث

في بيان ابتلائه عليه السلام بذبح ولده اسماعيل

عاش ابراهيم عليه السلام حينا من الدهر حتى وهن عظمه وكبر سنه وبلغ من الكبر عتيا ولم تكن له ذرية فاشتاقت نفسه الى الولد فدعا ربه ان يهبه من الصالحين فاستجاب الله دعاءه وبشره بغلام هو اسماعيل عليه السلام وقد سربه ابوه وقرت به عينه وتعلقت به نفسه وماليث الا قليلا حتى ابتلى اولا بفراقه وارساله بين جبال مكة عند بيت الله الحرام وحين شب الغلام عن الطوق وبلغ مع ابيه السعى ابتلى ثانيا بطلب ذبحه فقد اوحى الله اليه فى المنام ان يذبحه فقام مسرعا الى تنفيذ امر ربه ذاهبا الى مكة حيث ولده اسماعيل ، وهناك اسطحبه معه متجها به ناحية منى لينفذ حكم الله فيه بذبحه وتقديمه قربانا لربه ولما تله للجبين وشرع يريد ذبحه امتثالا لامر ربه نودى ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين وفداه الله تعالى بذبح عظيم وهكذا ثبت الله تعالى خليله عليه السلام فى هذا الموقف العصيب وايده بالصبر الجميل على ما ابتلاه بذبح ولده اسماعيل .

اختلاف العلماء فى تعيين الذبيح .

اختلف السلف من المسلمين فى تعيين عين الذبيح هل هو اسحاق او اسماعيل ؟

فذهب جماعة منهم الى ان الذبيح اسحاق عليه السلام .

ونسب هذا القول الى :

عبد الله بن مسعود وجابر وانس بن مالك والعباس وابنه عبد الله في رواية عنه وعمر بن الخطاب وعلى بن ابي طالب من الصحابة، وعكرمة وعطاء ومقاتل وسعيد بن جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق ومجاهد والشعبي وعلقمة والقاسم بن ابي بزة وعبيد بن عمير وابي ميسرة وزيد بن اسلم وعبد الله بن شقيق والزهري ومكحول وعثمان بن ابي حاضر والسدى والحسن البصري وابن ابي الهذيل وابن سابط من التابعين واتباعهم وهو اختيار ابن جرير الطبري وعليه اهل الكتابين اليهود والنصارى[1] .

وايدوا ماذهبوا اليه بما رواه الامام احمد في مسنده حيث قال " حدثنا يونس اخبرنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" ان جبريل ذهب بابراهيم الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ[2] ، ثم اتى الجمرة الوسطى فعرض له الشيطان

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣ : ٨١ - ٨٣) ، تفسير الرازي (٢٦ : ١٥٣) ابن كثير (٤ : ١٨ - ١٨) ، البغوي (٧ : ١٤٧) ، القرطبي (١٥ : ٩٩ - ١٠٠) ، الخازن (٤ : ٢٦) ، ابي حيان (٧ : ٣٧١) ، الكشاف (٢ : ٢٦٩) ، النسفي (٤ : ٢١) .

(٢) ساخ : سوخ ، ساخت بهم الارض : اذا انخسفت ، وكذلك الاقدام تسوخ في الارض ، وتسيخ : تدخل فيها وتغيب ، وفي حديث سراقة والهجرة : فساخت يد فرسي اي : غاصت في الارض .
لسان العرب لابن منظور (٣ : ٢٧) .

فرماه بسبع حصيات فساخ ثم اتى الجمرة القصوى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ ، فلما اراد ابراهيم ان يذبح ابنه اسحاق ، قال لابيه يا أبت اوثقني لا اضطرب فينفح عليك من دمي اذا ذبحتني فشده فلما اخذ الشفرة فاراد ان يذبحه نودي من خلفه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا[1] . ا.هـ

ففي الحديث التصريح بان الذبيح هو اسحاق عليهما الصلاة والسلام .

وبما نقله عنهم الرازي في تفسيره :

من ان اول الاية وآخرها يدل على ان الذبيح اسحاق ، اما اولها فانه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام قبل هذه الاية انه قال " اني ذاهب الى ربي سيهدين " واجمعوا على ان المراد منه مهاجرته الى

---

(١) مسند احمد بتصحيح احمد محمد شاكر (٤ : ٢٨٣ - ٢٨٤) ، ورقم الحديث في المسند ٢٧٩٥ .

قال الحافظ الهيثمي عن هذا الحديث : " رواه احمد وفيه عطاء ابن السائب وقد اختلط " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣ : ٢٦٠) ، كتاب الحج - باب رمي الجمار .

وقال عنه احمد محمد شاكر : " اسناده صحيح الا ان قوله : " فلما اراد ان يذبح ابنه اسحاق " نراه خطأ من عطاء بن السائب فالذبيح اسماعيل - عليهما الصلاة والسلام - كما دل عليه الكتاب والسنة " . مسند احمد بتصحيح احمد شاكر (٤ : ٢٨٣ - ٢٨٤) .

وقال احمد شاكر : " ونقول : بل هذه الرواية خطأ قطعا فيكون عن ابن عباس رواية واحدة " مسند احمد (٤ : ٢٨٣ - ٢٨٤) . واشار اليه ابن كثير في تفسيره حيث قال : " فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تسمية الذبيح روايتان ، والاظهر عنه اسماعيل - عليهما الصلاة والسلام " . ا.هـ تفسير ابن كثير (٤ : ١٦) .

الشام ، ثم قال " فبشرناه بغلام حليم " فوجب ان يكون هذا الغلام ليس الا اسحاق ، ثم قال بعده " فلما بلغ معه السعي " وذلك يقتضي ان يكون المراد من هذا الغلام الذى بلغ معه السعي هو ذلك الغلام الذى حصل في الشام ، فثبت ان مقدمة هذه الاية تدل على ان الذبيح هو اسحاق واما اخر الاية فهو ايضا يدل على ذلك لانه تعالى لما تم قصة الذبيح قال بعده " وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين " ومعناه انه بشره بكونه نبيا من الصالحين ، وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدل على انه تعالى انما بشره بهذه النبوة لاجل انه تحمل هذه الشدائد في قصة الذبيح ، فثبت بما ذكرنا ان اول الاية وآخرها يدل على ان الذبيح هو اسحاق[1] .

وذهب الاكثرون منهم الى ان الذبيح اسماعيل عليه السلام .

ونسب هذا القول الى ابي بكر ومعاوية بن ابي سفيان وابي هريرة ، وابي الطفيل وابن عمر وعبد الله بن سلام وابن عباس - من الصحابة - في رواية اخرى عنه وقد رواها عنه سعيد بن جبير والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء بن ابي رباح كما نسب الى سعيد بن المسيب والحسن البصري وعمرو بن عبيد ومحمد بن كعب القرظي وعمر بن عبد العزيز واحمد بن حنبل وابي حاتم وعلقمة وابي عمرو بن العلاء وابي جعفر محمد بن علي وابي صالح والربيع بن انس والكلبي[2] .

---

(١) تفسير الرازي (٢٦ : ١٥٤) .
(٢) انظر : تفسير الطبري (٢٣ : ٨٣ - ٨٥) ، ابن كثير (٤ : ١٩) القرطبي (١٥ : ١٠٠ - ١٠١) ، البغوي (٧ : ١٤٧) ، البحر المحيط (٧ : ٣٧١) ، النسفي (٤ : ٢٠) ، الزمخشري (٢ : ٢٦٨ - ٢٦٩) ، الخازن (٤ : ٢٦ - ٢٧) ، الرازي (٢٦ : ١٥٣) .

وايدوا ماذهبوا اليه بما رواه الامام احمد - ايضا فى مسنده حيث قال حدثنا سريج ويونس قالا :

ثنا حماد يعنى ابن سلمة عن ابى عاصم الغنوى عن ابى الطفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا والمروة وان ذلك سنة ، قال : صدقوا ، ان ابراهيم عليه السلام لما امر بالمناسك اعترض عليه الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ، ثم ذهب به جبريل الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات " وتله للجبين " وعلى اسماعيل قميص ابيض ، فقال يا أبت : انه ليس لى ثوب تكفننى فيه غيره ، فاخلعه حتى تكفننى فيه فعالجه ليخلعه فنودى من خلفه : " ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا " فالتفت ابراهيم فاذا هو بكبش ابيض اقرن اعين ، قال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش قال ثم ذهب به جبريل الى منى ، قال : هذا منى وفى لفظ " هذا مناخ الناس ثم اتى به جمعا ، فقال هذا المشعر الحرام ، ثم ذهب به الى عرفة ، قال ابن عباس : هل تدرى : لم سميت عرفة ؟ قلت : لا ، قال : ان جبريل قال لابراهيم عرفت ؟ " وفى لفظ هل عرفت ؟ " قال : نعم ، قال ابن عباس : فمن ثم سميت عرفة ، ثم قال هل تدرى كيف كانت التلبية ؟ قلت : وكيف كانت ؟ قال : ان ابراهيم لما امر ان يؤذن فى الناس بالحج خفضت له الجبال رؤوسها ودفعت له القرى فأذن فى الناس بالحج [1] .

---

(١) مسند احمد بتصحيح احمد محمد شاكر (٤ : ٢٤٧ - ٢٤٩) .
قال الهيثمى عن هذا الحديث : " رواه احمد والطبرانى فى الكبير =

ومما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما وساقه بسنده فقال : حدثنا ابو سعيد احمد بن يعقوب الثقفي ثنا الحسن ابن المثنى العنبري ثنا ابو حذيفة ثنا شبل بن عباد عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس : في قوله عز وجل : وان من شيعته لابراهيم . قال : من شيعة نوح ابراهيم على منهاجه وسنته ، بلغ معه السعي : شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم في العمل فلما اسلما ماأمرا به وتله للجبين وضع وجهه الى الارض فقال لا تذبحني وانت تنظر عسى ان ترحمني فلا تجهز على اربط يدى الى رقبتي ثم ضع وجهي على الارض فلما ادخل يده ليذبحه فلم يحك المدية حتى نودى ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فامسك يده ورفع قوله : فديناه بذبح عظيم : بكبش عظيم متقبل ، وزعم ابن عباس ان الذبيح اسماعيل[(١)] .

ومما رواه الحاكم - ايضا - في مستدركه عن محمد ابن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي حيث قال الحاكم : (" حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : ان الذى امر الله ابراهيم بذبحه من ابنه اسماعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن ابراهيم وماأمر به من ذبح ابنه انه اسماعيل وذلك ان الله يقول : حين

= ورجاله ثقات" . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣ : ٢٥٩) كتاب الحج - باب رمي الجمار .
وقال عنه احمد محمد شاكر : سنده صحيح . مسند احمد بتصحيح احمد شاكر (٤ : ٢٤٧) .

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك وقال " صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وقال الذهبي في تلخيص المستدرك (خ م) ج٢ ، ص ٤٣٠ - ٤٣١ كتاب التفسير سورة الصافات .

فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم قال : " وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين"[1] ثم يقول : " فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب"[2] يقول بابن وابن ابن فلم يكن يؤمر بذبح اسحاق وله فيه من الله موعود بما وعده ، وما الذى امر بذبحه الا اسماعيل")[3] .

ومما نقله عنهم الرازى من وجوه :

الاول :

ان الله تعالى وصف اسماعيل بالصبر دون اسحاق فى قوله " واسماعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين" وهو صبره على الذبح ووصفه ايضا بصدق الوعد فى قوله " انه كان صادق الوعد " لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به .

الثانى :

حكى الله تعالى عنه انه قال " انى ذاهب الى ربى سيهدين" ثم طلب من الله تعالى ولدا صالحا يستأنس به فى غربته ، فقال " رب هب لى من الصالحين" وكأن قوله هذا لا يفيد الا طلب الولد عند عدم الولد فثبت ان هذا السؤال وقع حال طلب الولد الاول ، واجمع الناس على

---

(١) الصافات : ١١٢ .

(٢) هود : ٧١ .

(٣) المستدرك للحاكم - المجلد الثانى (ص ٥٥٥) - اخرجه الحاكم فى مستدركه وسكت عنه - وتابعه الذهبى فى " تلخيص المستدرك" فى السكوت عن هذا الحديث . قال ابن كثير فى تفسيره مشيرا الى كلام محمد بن كعب القرظى فى هذا الحديث : قال : " والذى استدل به محمد بن كعب القرظى على انه اسماعيل اثبت واصح واقوى والله اعلم" ا.هـ تفسير ابن كثير (٤ : ٢٠) .

ان اسماعيل متقدم فى الوجود على اسحاق ، فثبت ان المطلـــوب بهـــذا الدعاء هو اسماعيل ،ثم ان الله تعالى ذكر عقيبه قصة الذبيح فوجــــب ان يكون الذبيح هو اسماعيل[(١)] ا.هـ

وبما ذكره ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ فى الفتاوى : وفى الجملـة فالنزاع فيه مشهور لكن الذى يجب القطع به انه اسماعيل . وقال : وهـذا الذى عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة وهو الذى تدل عليه التـوراة التى بأيدى اهل الكتاب وايضا فان فيها انه قال لابراهيم : اذبح ابنــك وحيدك ،وفى ترجمة اخرى : بكرك واسماعيل هو الذى كان وحيده وبكــره باتفاق المسلمين واهل الكتاب لكن اهل الكتاب حرفوا فزادوا اسحـــاق فتلقى ذلك عنهم من تلقاه ،وشاع عند بعض المسلمين انه اسحاق واصلــه من تحريف اهل الكتاب . ومما يدل على انه اسماعيل قصة الذبيح المذكورة فى سورة الصافات فهذه القصة تدل على انه اسماعيل من وجوه :

احدها :

انه بشره بالذبيح وذكر قصته اولا ،فلما استوفى ذلك قال" وبشرنـــاه باسحاق نبيا من الصالحين[(٢)] فبين انهما بشارتان بشارة بالذبيح ،وبشـارة ثانية باسحاق وهذا بين .

الثانى :

انه لم يذكر قصة الذبيح فى القرآن الكريم الا فى هذا الموضع،وفـى سائر المواضع يذكر البشارة باسحاق خاصة كما فى سورة هود من قوله تعالى " وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقـــــوب[(٣)] ،

---

(١) تفسير الفخر الرازى ج٢٦ ،ص ١٥٣ - ١٥٤ .
(٢) الصافات : ١١٢ .
(٣) هود : ٧١ .

فلو كان الذبيح اسحاق لكان خلفا للوعد في يعقوب .

وقال تعالى : " فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم "[١] .

وقال تعالى : " قالوا : لا توجل انا نبشرك بغلام عليم ، قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون "[٢] ولم يذكر انه الذبيح ، ثم لما ذكر البشارتين جميعا : البشارة بالذبيح ، والبشارة باسحاق بعده كان هذا من الادلة على ان اسحاق ليس هو الذبيح .

الثالث :

انه ذكر في الذبيح انه غلام حليم ، ولما ذكر البشارة باسحاق ذكر البشارة بغلام عليم في غير هذا الموضع ، والتخصيص لا بد له من حكمة ، والحلم هو مناسب للصبر الذي هو خلق الذبيح ، واسماعيل وصف بالصبر في قوله تعالى " واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين "[٣] فانه قال في الذبيح : " يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين "[٤] .

وقد وصف الله تعالى اسماعيل انه من الصابرين ، ووصف الله تعالى اسماعيل ايضا بصدق الوعد في قوله تعالى " انه كان صادق الوعد "[٥] لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به .

---

(١) الذاريات : ٢٨ - ٢٩ .

(٢) الحجر : ٥٣ - ٥٤ .

(٣) الانبياء : ٨٥ .

(٤) الصافات : ١٠٢ .

(٥) مريم : ٥٤ .

الوجه الرابع :

ان البشارة باسحاق كانت معجزة لان العجوز عقيم ولهذا قال الخليل عليه السلام " ابشرتمونى على ان مسنى الكبر فيم تبشرون[١] وقالت امرأته " أألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا[٢] وكانت البشارة باسحاق مشتركة بين ابراهيم وامرأته ، واما البشارة بالذبيح فكانت لابراهيم عليه السلام خاصة وامتحن بذبحه دون الام - وهذا مما يوافق مانقل عن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فى الصحيح وغيره من ان اسماعيل وامه ذهب بهما ابراهيم الى مكة وهناك امر بالذبح وهذا مما يؤيد ان الذبيح اسماعيل دون اسحاق .

ومما يدل على ان الذبيح ليس هو اسحاق ان الله تعالى قال :

" فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب[٣] فكيف يأمر بعد ذلك بذبحه ؟ والبشارة بيعقوب تقتضى ان اسحاق يعيش ويولد له يعقوب ، ومما يدل على ذلك ان قصة الذبيح كانت بمكة ، ولم ينقل عن احد ان اسحاق عليه السلام - ذهب الى مكة لا من اهل الكتاب ولا غيرهم ، لكن بعض المؤمنين من اهل الكتاب يزعمون ان قصة الذبح كانت بالشام وهذا افتراء[٤] . ا .هـ

وقد قال ابن كثير عن اقوال القائلين بان الذبيح من ابنى ابراهيم انما هو اسحاق قال فى تفسيره مانصه :" وهذه الاقوال - والله اعلم - كلها مأخوذة عن كعب الاحبار فانه لم اسلم فى الدولة العمرية جعل يحدث عمر

---

(١) الحجر : ٥٤ .

(٢) هود : ٧٢ .

(٣) هود : ٧١ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية - المجلد الرابع (ص ٣٣١ - ٣٣٥) .

رضى الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضى الله عنه فترخص الناس فى استماع ماعنده ونقلوا ماعنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الامة والله اعلم حاجة الى حرف واحد مما عنده[1] ا.هـ

الرأى المختار :

والذى اقول به واميل اليه هو ان الذبيح من ابنى ابراهيم عليهم الصلاة والسلام انما هو اسماعيل بل هو الحق الذى يبدو بعد البحث والتنقيب وانه الصحيح وهو القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

ويؤيده حديث ابن عباس فى مسند احمد وفيه ان الذبيح اسماعيل وان رواته كلهم ثقات، وماروواه الحاكم فى مستدركه وصححه ووافقه عليه الذهبى عن ابن عباس انه زعم ان الذبيح اسماعيل .

وماروواه الحاكم فى مستدركه عن محمد بن اسحاق انه سمع محمد بن كعب القرظى يقول : ان الذبيح من ابنى ابراهيم - عليهم الصلاة والسلام انما هو اسماعيل وانه قد استنبط ذلك واستشفه من كتاب الله تعالى حيث بشر ابراهيم باسحاق ومن وراءه بيعقوب فكيف يأمره الله تعالى بذبح اسحاق وله فيه من الله ماوعده من مولد يعقوب، وقد صحح ابن كثير فى تفسيره ماقاله محمد بن كعب القرظى حيث قال : والذى استدل به محمد بن كعب القرظى على انه اسماعيل اثبت واصح واقوى كما مر ذلك .

واما ما استدل به القائلون بان الذبيح اسحاق فهو اما حديث مرفوع لكنه ضعيف لا يحتج به واما حديث موقوف .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ : ١٩) .

فحديث ابن عباس فى مسند احمد الذى جاء فيه ان الذبيح اسحاق ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان فى سنده عطاء بن السائب وقد اختلط فهو لا يقاوم حديث ابى الطفيل الثابت عند احمد فى المسند والذى نص على ان الذبيح اسماعيل وان رواته كلهم ثقات .

وماذكره القائلون بأن الذبيح اسحاق من ان اول الاية وآخرها يدل على ذلك فقالوا : حكى عن ابراهيم انه قال " انى ذاهب الى ربى سيهدين[1] المراد بها الشام ، وانه طلب الولد فقال " رب هب لى من الصالحين[2] فبشره الله بغلام حليم قالوا وجب ان يكون هذا الغلام هو اسحاق لانه حصل فى الشام ، واما آخر الاية فانه تعالى لما تم قصة الذبيح قال عقبه وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين فذكر البشارة بالنبوة عقب قصة الذبح لاجل انه تحمل هذه الشدائد فثبت بان الذبيح اسحاق .

فهو مردود لان ابراهيم عليه السلام حينما هجر بلاد قومه طلب الولد فبشر بغلام حليم وتخصيصه بوصف الحلم لم يوصف به اسحاق فى سائر القرآن انما وصف اسحاق بالعلم ثم لم يبشر هو وزوجه به انما بشر به وحده ، فثبت ان اول الاية يدل على ان الذبيح اسماعيل لا اسحاق ، واما آخر الاية كذلك لانه بعد ان تم قصة الذبيح قال تعالى : " وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين[3] فالقصتان متغايرتان فعلم ان الذبيح ليس اسحاق وان ابراهيم بشر بنبوة اسحاق زيادة فى اكرام الله تعالى له بعد ان صبر على امر الله له بذبح اسماعيل فكان بمثابة الجزاء على الاحسان ، ثم

---

(١) الصافات : ٩٩ .
(٢) الصافات : ١٠٠ .
(٣) الصافات : ١١٢ .

ان غالبنا هنالك من الاخبار التي تذكر ان الذبيح اسحاق هو من الاسرائيليات التي رواها اهل الكتاب ممن اسلم منهم - كما قاله ابن كثير عن كعب الاحبار - وتلقفها عنهم المسلمون عن حسن نية وظن ، وان كانت في اصلها من دس اليهود وكذبهم وتحريفهم للنصوص والذى غر القائلين بأن الذبيح اسحاق ماجاء في توراتهم على ماذكره - ابن تيمية في فتاويه اذبح ابنك اسحاق ، وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لانها تناقض قول التوراة " اذبح بكرك ووحيدك" واهل الكتاب والمسلمون مجمعون على ان ابراهيم رزق اسماعيل قبل وجود اسحاق بمدة ، فاسماعيل هو البكر وهو وحيده عند ولادته لم يكن معه ابن ثان لابراهيم ولكن اليهود - لعنهم الله - قوم بهت لا يعترفون ولا يؤمنون بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فأرادوا ان يجروا هذا الشرف اليهم فغيروا لفظ اسماعيل بلفظ اسحاق لان اسحاق ابوهم واسماعيل ابو العرب ولكن شاء الله تعالى ان يتركوا مايدل على كذبهم وتحريفهم وتبديلهم وهو قولهم بعد اسحاق بكرك وحيدك .

وجه ابتلاء الله تعالى ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه .

لقد كان ابراهيم عليه السلام وحيدا في ابتلائه بذبح ابنه بين الانبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام بل بين الناس كلهم فهاهو قد بشر بابنه عليه السلام على كبر من السن وطول انتظار للولد وبعد ان استقرت البشرى ونعم بوليده الصغير واخذ ذلكم الطفل يشب ويترعرع حتى بلغ مع ابيه السعي وقرت عين ابيه به يأتيه الامر من ربه بذبح ولده فكان ذلك لابراهيم عليه السلام من اعظم انواع البلاء كما يقول الله تعالى

" ان هذا لهو البلاء المبين"[1] .

فكانت محنة عظيمة تتهلع لها القلوب وتتصدع منها الافئدة وترتاع لها النفوس وتنوء بها الجبال الراسيات ولكن على قدر علو منزلة ابراهيم ومقدار ثبات يقينه وكمال ايمانه كان ابتلاؤه واختباره ، وان ابراهيم عليه السلام ليضرب بهذا اروع المثل للناس جميعا الى يوم القيامة بالتضحية والايثار والطاعة الكاملة لله تعالى والقيام بجميع اوامره ، ولقد جاءت شهادة الله تعالى تسجل نجاح ابراهيم وابنه عليهما السلام فى افجع امتحان وافدح كارثة يمر بها انسان فقال تعالى : " كذلك نجزى المحسنين"[2] .

ولا غرابة فى ذلك فهو الذى قدم اولا جسده للنيران ثم قدم ولده للقربان كما قدم ماله للضيفان وكل ذلك فى مرضاة الرحمن ولقد كانت عناية الله تعالى بنبيه ووثوق الخليل بربه خير زاد له على تثبيته واقدامه على تنفيذ وحى ربه بذبح ولده فأقبل يقدم اعز ماوهبه الله تعالى اليه فدا ء ارضاء لله سبحانه وتعالى .

* * *
* *
*

---

(١) الصافات : ١٠٦ .
(٢) الصافات : ١١٠ .

الباب الخامس

في بيان وصف ابراهيم عليه السلام وثناء الله تعالى عليه

ان الكلام على صفات ابراهيم عليه السلام وشمائله ، والا حاطة بذلك مما يتعذر على مثلى ، فان صفات ابراهيم - عليه السلام - اعيت من يعددها لان الكلام على ذلك يعنى الكلام على امة متمثلة فى شخصه ، والا حاطة بجوانبه تعنى الالمام بجوانب حياته الا خلاقية والسلوكية فان ابراهيم - عليه السلام - كان أمة . ولما كان ذلك من الصعوبة بمكان ، وكان لا بد لى ان اكتب عما يتحلى به من صفات وشمائل فانى اقول بقدر جهدى واستطاعتى :

ان القرآن الكريم قد سجل لا براهيم - عليه السلام - انبل الصفات الخلقية واضفاها عليه حللا سندسية ، وابقاها له ذكرا خالدا فى الا خرين على مر العصور والا جيال ليقتدى بها ويحتذى حذوها فهو ابو الا نبياء - عليهم الصلاة والسلام - وقدوة الا نام ، وتلكم الجوانب الا خلاقية ، والمواقف الا يمانية انما كانت تنبع وتنبض عن عقيدة صافية راسخة متغلغلة فى اعماق نفسه ، وايمان كامل ويقين صادق حل سويداء قلبه ، وان مواقفه المتعددة ازاء عداء ابيه وقومه والنمروذ له ، وصبره على نار قومه ، ثم هجرته عن الا هل وفراقه للاوطان ، وايذاء الجبار له ولا هله ، ثم صبره على ترك طفله الرضيع وزوجه فى مفازة مهلكة وصحراء مقفرة حيث لا أنيس ولا سمير ، ولا زاد ولا ماء - وصبره اخيرا على ذبح ابنه اسماعيل حينما شب عن الطوق وبلغ معه السعى - لمظاهر حية ناطقة بصدق ما اعتمل فى نفسه واستقر فى فؤاده وملئت به جوانبه من صفاء العقيدة وخلوصها وقوة الا يمان وكماله وصدق اليقين وثباته .

فهاكم بعض ما أشرت اليه - آنفا - على اننى لم اقصد الى ترتيب معين فى تقديم فضيلة على أخرى .

(١) كونه أمة[1]

لقد وصف الله تبارك وتعالى نبيه ورسوله وخليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى القرآن الكريم بانه كان أمة لانه كان يعلم الناس الخير وقد جمع من الخصال الحميدة والصفات النبيلة مالم يجتمع فى أمة بأكملها ،وقد خصه الله تعالى وحباه بالكمالات التى لو وزعت على امة لوسعتها ،ومن ثم الأتم به اهل الدنيا فى التحلى بما يزين من سائر الصفات الجميلة والافعال الحميدة فهو فريد دهره ووحيد عصره وصدق الله العظيم حين يقول فيه " ان ابراهيم كان امة"[2].

---

(١) الامة : الشرعة والدين والسنة والطريقة والنحلة . والامة : الحين والامة : القرن من الناس،والجيل من كل حى . والامة : الجامع لخصال الخير،والامة : معلم الناس الخير،والامة : الرجل المنفرد بدين ـ قال تعالى " ان ابراهيم كان امة" .
وتطلق الامة ايضا على عالم دهره وفريد عصره المنفرد بعلمه والامة : اتباع النبى والجمع امم . ومن معانى الامة ايضا :العالم والجماعة،وامة الرجل : قومه والام والامة الوالدة .
انظر : لسان العرب(١٢ : ٢٣ - ٢٨) ، المفردات فى غريب القرآن (ص٢٣) ،المصباح المنير للمقرى الفيومى (١ : ٢٨) .

(٢) النحل : ١٢٠ .

(٢) قنوته عليه السلام

لقد سجل القرآن الكريم لابراهيم عليه السلام معانى العبودية الحقة التي يكون فيها العبد قريبا من مولاه فقد كان كثير الدعاء والابتهال والتضرع والاتصال بربه تبارك وتعالى ، وكان خاشعا في عبادته ودعائه مقرا ، ومعترفا بعبوديته لله تعالى وقائما بالطاعة الكاملة التامة ذاكرا ربه آناء الليل واطراف النهار منفذا اوامره على الوجه الذى يرضيه سبحانه وتعالى وليس ذلك بكثير على ابراهيم عليه السلام فهو خليل الرحمن وابو الانبياء ولذلك قال الله تعالى مؤكدا اتصاف خليله عليه السلام وتحليه بما اثبته له من القنوت " ان ابراهيم كان امة قانتا[١] لله "[٢].

---

(١) قانتا : القنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع، وقيل : الدعاء فى الصلاة وقيل : الخشوع والاقرار بالعبودية والقيام بالطاعة التى ليس معها معصية . والقانت : المطيع، والذاكر لله تعالى . وحقيقة القانت انه القائم بجميع امر الله تعالى . قال تعالى " ان ابراهيم كان امة قانتا لله " .

انظر : لسان العرب(٢ : ٧٣ - ٧٤) ، المفردات للراغب الاصفهانى (ص ٤١٣) .

(٢) النحل : ١٢٠ .

(٣) حنيفيته عليه السلام

ولـــد ابراهيم عليه السلام من أب كافر وشب يترعرع وسط مجتمـــع جاهلى يغص بالمنكرات وتخنقه الخرافات ويحيط به الشرك ويعمه الجهـــل والضلال ويخيم عليه الفساد والظلم والتمرد والطغيان ،عاش ابراهيم عليـــه السلام بين احضان ذلك الوسط الرهيب الذى انقلبت فيه معانى القـــيم العقيدية والاخلاقية والاجتماعية فالحق فيه ضلال ،والذى يحاول مـــن اصلاحهم او دلالتهم على الخير يعتبر فى عرفهم خارجا عن دين الآبـــاء والاجداد منكرا لمألوفهم الذى عاشوا عليه السنين الطوال مـــن عبـــادة الاحجار والاصنام .

نشأ ابراهيم عليه السلام فى ذلك الوكر الهابط نقى النفس والفؤاد لم يعلق به من درن قومه شىء مائلا عن كل هذه المعبودات الباطلـــــة والعقائد الفاسدة الى توحيد ربه ومعرفة خالقه تعالى فلم يسجد لصـــنم قط او يتقرب لوثن البتة بل انقذه الله تعالى من براثن ذلك الضلال ورباه منذ نعومة اظفاره على عينه وآتاه رشده وحاطه بعنايته ولطفه واعده لمـــا يريده له من مهمة شاقة عظيمة ودرجة عالية رفيعة فبقى على فطـــرتـــه السليمة التى فطره الله تعالى عليها ،وهكذا ارتفع ابراهيم عليه الســـلام بنفسه عن مألوف قومه من عبادة مادون الله تعالى فكان حنيفا يؤمـــن بوحدانية الله تعالى دون ماسواه والتوجه اليه فى كل شىء ، قال تعالـــى

" ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا[١] ولم يك من المشركين "[٢] . وقـــــال تعالى :" ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكـان من المشركين "[٣] .

---

(١) حنيفا : الحنيف : المسلم الذى يتحنف عن الاديان الباطلة اى يميل الى الحق . وقيل هو المخلص المستقيم الذى اسلم لامرالله تعالى ولم يلتو فى شىء .

انظر : لسان العرب (٩ : ٥٧ - ٥٨) .

(٢) النحل : ١٢٠ .

(٣) آل عمران : ٦٧ .

(٤) شكره لانعم ربـــه

ان ابراهيم عليه السلام قد انعم عليه ربه بنعم عظيمة وامتن عليـــه بمنن كثيرة لا تحصى كثرة على ان ابرزها النبوة والخلة وجعله امامـــــا للناس وحصر النبوة من بعده والكتاب فى ذريته وقد قابل ابراهيم هـــذا العطاء الجزيل من الله تعالى بالشكر العميم فاجتهد فى شكره بالاقبـال على طاعته والمزيد من رضائه بأن قام بكل ماأنيط به من العبـــــادات والتكاليف مثنيا بذلك على المنعم جل شأنه بما أولاه من معروف وما اسداه اليه من نعم وصدق الله العظيم اذ قال " ان ابراهيم كان امة قانتـــا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صـــراط مستقيم "(١) .

---

(١) النحل : ١٢٠ - ١٢١ .

(٥) حلمه عليه السلام

الحلم سمة من سمات العقلاء فهو يدل على مدى قوة الانتصار على النفس والحليم لا يتعجل العقوبة لمن اساء اليه بل يصبر على الاذى ويصفح عن الزلات ولا يؤاخذ على العثرات مع قدرته على الانتقام ممن آذاه والبطش بمن اساء اليه ،فالحلم صفة للنفس تنتظم كثيرا من الاخلاق الحميدة والخلال النبيلة والخصال الشريفة ويعلو بصاحبه الى مراتب السمو والكمال وكذلك كان الخليل ابراهيم عليه السلام فقد دب الحلم فى اوصاله وتغلغل فى اعماقه واستقر فى مكنون فؤاده فلا يصدر عنه الا كل مايدل على الحلم وفى القرآن الكريم امثلة لحلم ابراهيم عليه السلام منها موقفه مع ابيه فقد قابل غلظته وجفاءه بالحلم العظيم والصبر الجميل وقد نوه الله تعالى فى القرآن الكريم بحلمه فقال تعالى : " ان ابراهيم لحليم[1] اواه منيب "[2] .

---

(١) الحلم : ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، وقيل : الاناة والعقل والتثبت فى الامور وذلك من شعار العقلاء . قال تعالى " ان ابراهيم لحليم اواه منيب " .
والحليم فى صفة الله عز وجل : معناه : الصبور، وقيل معناه : الذى لا يستخفه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شىء مقدارا فهو منته اليه . انظر : لسان العرب(١٢ : ١٤٦) ، المفردات للراغب (ص ١٢٩) .

(٢) سورة هود : ٧٥ .

(٦) تأوهه عليه السلام

كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كثير الحزن والتوجع والشكاية الى الله تعالى فى كل شئونه ، والرجوع اليه فى جميع اموره ، دائم الاتصال بربه تبارك وتعالى كثير الخشوع له والتضرع اليه يخافه ويخشاه فى كل حالاته وفى جميع حركاته وسكناته ومن ثم وصفه الله تعالى بالتأوه فى قوله تعالى : " ان ابراهيم لأواه[١] حليم[٢] ".

---

(١) الاواه : الكثير التأوه والكثير الدعاء ومنه الاية " ان ابراهيم لأواه حليم " والرحيم الرقيق القلب .
أوّه : آه ، تأوه : آه . يقال : تأوه من خشية الله . ويقال : فلان متأله متأوه .
(آه ـ آه) : كلمة توجع او تحزن او شكاية .
المعجم الوسيط (١ : ٣٣) .

(٢) التوبة : ١١٤ .

(٧) انابته عليه السلام

كان ابراهيم عليه السلام رجاعا الى الله تعالى كثير التوبة والرجوع اليه بالندم والاستغفار والاقبال عليه بالطاعة هذا مع امامته في الهدى والصلاح وقدوته في كل خير وفلاح وماذاك الا لانه عرف ربه عز وجل حق معرفته فعظم قدره وهاب جنابه ورجع اليه في كل احواله وجميع شئونه ومن ثم مدحه الله تعالى بقوله " ان ابراهيم لحليم أواه منيب "[1] [2] .

---

(١) نوب : ناب فلان الى الله تعالى ، واناب اليه انابة فهو منيب
اى : اقبل وتاب ورجع الى الطاعة ، وقيل ناب : لزم الطاعة
واناب : تاب ورجع .
والانابة الى الله تعالى : الرجوع اليه سبحانه وتعالى بالتوبة
واخلاص العمل .
انظر : لسان العرب (١ : ٧٧٥) ، المفردات للراغب (ص ٥٠٧ - ٥٠٨) .

(٢) هود : ٧٥ .

(٨) جوده وكرمه

عرف ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام بالجود واكرام الضيفان فكان يكرم من نزل به من ضيوفه على غير سابق معرفة بهم فلا يكاد الضيف يحل به حتى يسارع الى اكرامه بتقديم خير ماعنده وقد احسن القول في هذا المقام الصابوني في كتابه النبوة والانبياء حيث قال :" كان ابراهيم عليه السلام كريما مضيافا لا ينزل به احد الا احسن ضيافته واكرم نزله وكان سخي النفس يذبح لضيوفه الشاء والنعم وقد ذكر القرآن الكريم قصته مع ضيوفه الملائكة حين جاءوا لاهلاك قوم لوط فمروا على ابراهيم في طريقهم ليبشروه بغلام فلما رآهم ظنهم من البشر فأسرع الى اهله فذبح لهم عجلا ثم شواه وقدمه لهم فلم يأكلوا فوقع في نفسه الريبة منهم واخذ ينظر اليهم بغرابة وحذر حتى اخبروه انهم من الملائكة . قال تعالى " هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ، اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ، فراغ[1] الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون ، فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم[2] .

فهذه الايات الكريمة صورة ناطقة عن كرم ابراهيم الخليل عليه السلام حيث كان يذبح لضيوفه الابل والبقر مع انه لا يعرفهم ولكنها اخلاق العظماء وصفات الكرماء[3] . ا.هـ

---

(١) راغ : راغ فلان الى فلان : اى مال اليه سرا ومنه قوله تعالى " فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين " وقوله " فراغ عليهم ضربا باليمين " كل ذلك انحراف في استخفاء .لسان العرب(٨ : ٤٣٠ - ٤٣١) .

(٢) الذاريات : ٢٤ - ٢٨ .

(٣) النبوة والانبياء للصابوني (ص ١٥٧) .

لكل هذه الكمالات العالية، وتلك الصفات الكريمة الفاضلة وغيرها مما منح الله - تعالى - بها خليله ابراهيم - عليه السلام - كان جديرا بأن يكون خليلا للرحمن، واماما للناس اجمعين، وابا للانبياء - عليهم الصلاة والسلام - وفي ذريته النبوة والكتاب، ولقد اثنى الله تبارك وتعالى عليه، ومدحه في القرآن الكريم فرفع من قدره وعلا من شأنه ونوه بفضله وابقى ذكره في العالمين فجعل له لسان صدق في الاخرين، وجماع القول في ثناء الله - تعالى - عليه ماجاء في قوله تعالى: "ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين، شاكرا لانعمه احتباه وهداه الى صراط مستقيم، وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين"(١).

تلك هي بعض صفاته الخلقية ذكرناها قدر جهدنا وطاقتنا، واليك بعض ماجاء في اوصافه الخلقية.

فقد ورد في الصحيحين عن ابي هريرة وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة اسرى به: "رأيت موسى واذا رجل ضرب رجل كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة احمر كأنما خرج من ديماس وانا اشبه ولد ابراهيم"(٢).

---

(١) النحل: ١٢٠ - ١٢٢.

(٢) اخرجه الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري.

انظر: صحيح البخاري - كتاب احاديث الانبياء - باب قوله تعالى "وهل اتاك حديث موسى" وقوله "وكلم الله موسى تكليما" (٤: ١٢٢).

وصحيح مسلم - كتاب الايمان - باب: الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم الى السموات وفرض الصلوات (١: ١٠٦ - ١٠٧).

وجاء فى الصحيحين ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال :" اما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم واما موسى فرجل آدم جعد على جمل احمر مخطوم بخلبة كأنى انظر اليه اذا انحدر فى الوادى يلبى "[(١)] .

فالنبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخبر عن نفسه فى هذه الاحاديث الصحيحة ، انه اشبه ولد ابراهيم بأبيه ابراهيم ـ عليه السلام بعد ان وصف موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وهذه الاحاديث فى مقام بيان الاوصاف الخلقية ، وانا اذا نظرنا الى هذه الاحاديث عرفنا من ذلك ان كل ماتحلى به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم من صفات خلقية هى موجودة فى ابينا الخليل ابراهيم ـ عليه السلام ـ ، ولا عجب ان يكون ذلك ، فان الخليل ـ عليه السلام ـ هو ابو نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن يشابه ابه فما ظلم .

---

(١) انظر : صحيح البخارى ـ كتاب اللباس ـ باب الجعد (٧ : ١٣٩) .
وصحيح مسلم ـ كتاب الايمان ـ باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم الى السموات وفرض الصلوات (١ : ١٠٦) .

شرح الالفاظ الغريبة فى الحديثين :
رجل ضرب : الضرب من الرجال : الخفيف اللحم الممشوق القد المستدق .
النهاية فى غريب الحديث (٣ : ٧٨) .
رجل : اى لم يكن شعره ـ عليه السلام ـ شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما .
النهاية فى غريب الحديث (٢ : ٢٠٣) .
كأنه من رجال شنوءة : قال ابن قتيبة فى كتابه " ادب الكاتب" :
شنوءة : من قولك رجل فيه شنوءة : اى تقزز ، ويقال : بل سموا =

= بذلك لانهم تشانأوا وتباعدوا .
انظر كتاب " ادب الكاتب " لابن قتيبة ـ كتاب المعرفة ـ باب اصول اسماء الناس ـ المسمون بالصفات وغيرها (ص ٦٣) ـ المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦هـ .
وقال النووى فى شرحه على صحيح مسلم : شنوءة : هى قبيلة معروفة ، وقال الجوهرى : الشنوءة : التقزز ، وهو التباعد من الادناس ، ومنه ازد شنوءة وهم حى من اليمن ينسب اليهم شنئى . قال قال ابن السكيت : ربما قالوا ازد شنوءة بالتشديد غير مهموز وينسب اليها شنوى . ا.هـ
انظر : النووى على مسلم (٢ : ٢٢٦) ، لسان العرب (١ : ١٠٢ - ١٠٣) .
ربعة : يقال رجل ربعة ومربوع هو بين الطويل والقصير .
النهاية فى غريب الحديث (٢ : ١٩٠) .
ديماس : جاء فى حديث مسلم مفسرا انه : الحمام ـ حديث ابى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم حين اسرى بى لقيت موسى عليه السلام فنعته النبى صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسبته قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة . قال ولقيت عيسى فنعته النبى صلى الله عليه وسلم فاذا ربعة احمر كأنما خرج من ديماس يعنى حماما قال ورأيت ابراهيم صلوات الله عليه وأنا اشبه ولده به . صحيح مسلم ـ كتاب الايمان ـ باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم الى السموات وفرض الصلوات (١ : ١٠٦ - ١٠٧) .
موسى رجل آدم : الادمة : هى فى الناس : السمرة الشديدة وقيل هو من ادمة الارض وهو لونها وبه سمى آدم عليه السلام ، وقيل الادمة : البياض .
انظر : لسان العرب (١٢ : ١١) ، والنهاية فى غريب الحديث (١ : ٢٦) =

= جعد : قيل الجعد من الرجال : الخفيف وقيل هو المجتمع الشديد والجعد اذا ذهب به مذهب المدح فله معنيان مستحبان احدهما : ان يكون معصوب الجوارح ، شديد الاسر والخلق غير مسترخ ولا مضطربه والثانى : ان يكون شعره جعدا غير سبط لان سبوطة الشعر هى الغالبة على شعور العجم من الروم والفرس وجعودة الشعر هى الغالبة على شعور العرب، واذا قالوا : رجل جعد السبوطة فهو مدح الا ان يكون قططا مفلفلا كشعر الزنج فهو حينئذ ذم .

لسان العرب (٣ : ١٢٢) .

مخطوم خلبة : الخطم جمع خطام : وهو الحبل الذى يقاد به البعير . وخطام البعير : ان يؤخذ حبل من ليف او شعر او كتان فيجعل فى احد طرفيه حلقة ثم يشد فيه الطرف الاخر حتى يصير كالحلقة ثم يقلد البعير ثم يثنى على مخطمه . واما الذى يجعل فى الانف دقيقا فهو الزمام .

النهاية فى غريب الحديث (١ : ٣٣٩ - ٣٤٠) .

خلبة : الخلب : الليف واحدته خلبة ، ومنه حديث : واما موسى فجعد آدم على جمل احمر مخطوم بخلبة ، وقد يسمى الحبل نفسه خلبة ومنه الحديث : بليف خلبة على البدن .

النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير (١ : ٣٤٤) .

الباب السادس

في ذكر اولاده ـ عليه السلام ـ ووفاته

طلب ابراهيم -عليه السلام- من ربه تبارك وتعالى ان يهب له ذرية صالحة قال تعالى حكاية عنه : " رب هب لى من الصالحين "[(١)] وقد استجاب الله تعالى دعاءه فقال تعالى : " فبشرناه بغلام حليم "[(٢)] وقال تعالى : " انا نبشرك بغلام عليم "[(٣)] ، وقد قال ابراهيم -عليه السلام- " الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء "[(٤)] وقد جاء فى سورة البقرة مايفيد احتمال انه رزق ايضا غير اسماعيل واسحاق قال تعالى : " ووصى بها ابراهيم بنيه "[(٥)] اذ لفظ بنيه جمع اقله ثلاثة فتفيد الاية الكريمة انه قد رزق مع اسماعيل واسحاق غيرهما .

وقد ذكرت بعض كتب التاريخ " ان ابراهيم -عليه السلام- تزوج بعد سارة بامرأة اسمها قنطورا او قطورا وانجب منها ستة من الولد ثم تزوج بأخرى اسمها حجون او حجين وانجب منها خمسة من الولد "[(٦)] فيكون بذلك عدد اولاده -عليه السلام- ثلاثة عشر[(٧)] وبعضهم عدهم ثمانية

---

(١) الصافات : ١٠٠ .

(٢) الصافات : ١٠١ .

(٣) الحجر : ٥٣ .

(٤) ابراهيم : ٣٩ .

(٥) البقرة : ١٣٢ .

(٦) انظر: تاريخ الطبرى (١ : ٣١١) ، تاريخ ابن كثير (١ : ١٧٥)، تاريخ ابن الاثير (١ : ١٢٣) ، تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٨) ، قصص الانبياء لابن كثير (١ : ٢٥٣) ، قصص الانبياء المسمى " بعرائس المجالس " للثعلبى (ص ٧٧) .

(٧) تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٩) .

بدون ذكر اولاده من حجون او حجين على اختلاف في عددهم بين اهل العلم والاخبار ، وذكروا جميع اسماء اولاده ولكنى لم اقف لاقوالهم على دليل من كتاب الله عز وجل او صحيح السنة عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ـ لذا فانني سأقصر الكلام على ما جاء التصريح بذكر اسمه في القرآن الكريم والحديث الشريف من ولد ابراهيم ـ عليه السلام ـ وهما اسماعيل واسحاق عليهما السلام .

اسماعيل عليه السلام

ان اسماعيل - عليه السلام - هو اول ولدى ابراهيم - عليه السلام - وهو بكره وهو الذبيح من ابنى ابراهيم - عليه السلام - وقد حاز هذا الشرف العظيم وهو ابو العرب واليه ينتسب غرة جبين البشرية فى الدنيا والاخرة وسيد الاولين والاخرين وخاتم الانبياء والمرسلين سيدنا ونبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد رزقه ابراهيم - عليه السلام - بعد ان طعن فى السن وامتد به العمر " وبلغ سنه ستا وثمانين عاما "[1] قال تعالى " الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء "[2] ، وقد وصفه ربه - تبارك وتعالى - بصدق الوعد فقال تعالى " واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد "[3] ، كما وصفه بالنبوة والرسالة فقال تعالى : " وكان رسولا نبيا "[4] .

ولقد امتاز اسماعيل - عليه السلام - بالحلم الذى اودعه الله تبارك وتعالى - فيه فاستحق الوصف بذلك والشهادة من رب العالمين قال تعالى : " فبشرناه بغلام حليم "[5] فقد كان له فيه مزيد اختصاص حيث بلغ فيه ذروة الكمال وغايته ، " وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة كان عند ربه مرضيا "[6] ، ثم الظاهر - والله تعالى اعلم - انه كان " قد بعث الى

---

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٦) ، تاريخ ابن كثير (١ : ١٥٣ - ١٩١) .

(٢) ابراهيم : ٣٩ .

(٣) مريم : ٥٤ .

(٤) مريم : ٥٤ .

(٥) الصافات : ١٠١ .

(٦) مريم : ٥٥ .

قبائل جرهم والعماليق واهل اليمن من العرب الذين عاش بينهم[١] في مكة ، وتزوج منهم وتعلم العربية منهم ، وقد ابتلاه ربه - تبارك وتعالى منذ نعومة اظفاره فكان صابرا وليس ادل على ذلك مما تعرض له من امر الذبح فاستجاب ولبى طائعا مختارا قال تعالى منوها بصبره " فلما بلغ معه السعي قال يابني انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين"[٢] ، وقال تعالى : " واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين"[٣] ، كما انه هو الذى بنى بيت الله تعالى مع ابيه قال تعالى : " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم"[٤] .

وكان بارا بأبيه فقد كان والده يعاوده الزيارة بين الحين والاخر حتى وقف على زوج ابنه الاولى ولم يحمد اخلاقها فكلم ابنه فى تطليقها فلم يتردد ولم يتوان فى تنفيذ طلب والده كما امره بامساك زوجه الاخرى الطائعة فكان مطواعا لابيه فى كل شئونه وجميع احواله ، وحينما طلب منه ان يعاونه ويساعده فى بناء البيت لم يتردد وانما هب مسرعا لتنفيذ امر الله تعالى استجابة لربه وطاعة لابيه ، وذكرت بعض كتب التاريخ " ان اسماعيل عاش مائة وسبعا وثلاثين عاما وقيل مائة وثلاثين عاما"[٥]

---

(١) تاريخ الطبرى (١ : ٣١٤) ، تاريخ ابن كثير (١ : ١٩٣) ، تاريخ ابن الاثير (١ : ١٢٥) ، تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٩) ، قصص الانبياء لابن كثير (١ : ٢٩٥) .

(٢) الصافات : ١٠٢ .

(٣) الانبياء : ٨٥ .

(٤) البقرة : ١٢٧ .

(٥) تاريخ الطبرى (١ : ٣١٤) ، تاريخ ابن كثير (١ : ١٩٣) ، تاريخ ابن الاثير (١ : ١٢٥) ، تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٩) ، قصص الانبياء لابن كثير (١ : ٢٩٦) .

انتقل بعدها الى جوار ربه راضيا مرضيا ، ودفن بمكة فى الحجر - على ماذكرت بعض كتب التاريخ - عند قبر امه هاجر[1] لكنه لم يصح تعيين مكانهما منها والله تبارك وتعالى اعلم .

---

(١) انظر : تاريخ الطبرى (١ : ٣١٤) ، تاريخ ابن كثير (١ : ١٩٣) ،
تاريخ ابن الاثير (١ : ١٢٥) ، تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٩) .

اسحاق عليه السلام

بشر الله تعالى خليله ابراهيم -عليه السلام- باسحاق بعد اسماعيل -عليهم الصلاة والسلام- على كبر وامتداد في العمر فقد رزقه ابراهيم عليه السلام "وكان سنه نحو مائة عام وقيل مائة وعشرين عاما"(١)، وقد بشر به هو وزوجه سارة التي كانت قد حرمت الولد لعقمها وكبر سنها وقد بلغت نحو "تسعين عاما وقيل سبعين عاما"(٢)، قال تعالى " انا نبشرك بغلام عليم"(٣)، وقال تعالى: " وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين"(٤)، وقال تعالى: " فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب"(٥) مما دعا سارة رضي الله عنها ان تعجب كيف تبشر بهذا الغلام على غير مألوف البشر، فالعقم قائم، وقد فاتها وقت الانجاب بسبب كبرها وشيخوخة زوجها فقالت: " أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب"(٦)، ولا عجب من امر الله تعالى فانه اذا اراد شيئا يقول له كن فيكون، وقد قال ابراهيم -عليه السلام- " الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء"(٧).

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (١: ٢٤٩)، تاريخ ابن كثير (١: ١٦١-١٩٣) تاريخ ابن الاثير (١: ١٠٢)، تاريخ ابن خلدون (٢: ٣٧).

(٢) نفس المصادر السابقة.

(٣) الحجر: ٥٣.

(٤) الصافات: ١١٢.

(٥) هود: ٧١.

(٦) هود: ٧٢.

(٧) ابراهيم: ٣٩.

وقد كان اسحاق ـ عليه السلام ـ ثانى ولدى ابراهيم ـ عليه السلام وقد ذكر ابن كثير فى تاريخه ان اسحاق ولد بعد اخيه اسماعيل ـ عليهما السلام ـ بثلاث عشرة سنة[١] ، وقيل بأربع عشرة سنة[٢] .

وكان اسحاق ـ عليه السلام ـ عليما بالدين نبيا من الصالحين وقد وصفه ربه تبارك وتعالى بذلك فقال " انا نبشرك بغلام عليم"[٣] ، وقال تعالى : " وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين"[٤] ، وقد بشر الله تعالى به والديه جميعا قبل ولادته ، ولا غرو فهو فرع شجرة مباركة ، وقد نوه الحديث الصحيح بشرفه قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : "الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم : يوسف بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام"[٥] .

وقد ذكرت بعض كتب التاريخ " انه عاش نحو مائة وثمانية وثمانين عاما وقيل مائة وثمانين عاما ، وقيل مائة وستين عاما ثم التحق بجوار ربه راضيا مرضيا ودفن مع ابيه فى المغارة التى بمدينة الخليل قرب بيت المقدس، التى كان قد اشتراها ابراهيم ـ عليه السلام ـ قبل موته ودفن بها زوجه سارة"[٦] .

---

(١) تاريخ ابن كثير (١ : ١٥٣) .
(٢) تاريخ ابن كثير (١ : ١٩٣) .
(٣) الحجر : ٥٣ .
(٤) الصافات : ١١٢ .
(٥) صحيح البخارى ـ كتاب احاديث الانبياء ـ باب قوله تعالى " لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين" (٤ : ١٢٠) .
(٦) تاريخ الطبرى (١ : ٣٣٠) ، تاريخ ابن الاثير (١ : ١٢٧) ، تاريخ ابن كثير (١ : ١٩) ، تاريخ ابن خلدون (٢ : ٤٠) ، قصص الانبياء لابن كثير (١ : ٣٠٥) .

وفاة ابراهيم -عليه السلام -

اختار الله تعالى نبيه وخليله ابراهيم -عليه السلام الى جواره بمهجره قرب بيت المقدس من ارض الكنعانيين وهو ابن مائتى سنة وقيل : ابن مائة وخمس وسبعين سنة، ودفن عند قبر زوجه سارة في المغارة التي في مزرعة عفرون الحيثى بحبرون وعرف ذلك المكان بالخليل لهذا[1] .

وقال ابن كثير في تاريخه : (" وقد ورد مايدل انه عاش مائتى سنة كما قاله ابن الكلبي، وقال ابو حاتم بن حبان في صحيحه انبأنا المفضل بن محمد الجندى بمكة حدثنا على بن زياد اللخمى حدثنا ابو قرة عن ابن جريج عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان النبى -صلى الله عليه وسلم- قال :" اختتن ابراهيم بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة" .

ثم قال ابن كثير : قلت : الذى في الصحيح انه اختتن وقد اتت عليه ثمانون سنة، وفي رواية وهو ابن ثمانين سنة وليس فيهما تعرض لما عاش بعد ذلك والله اعلم، ثم قال ابن كثير ايضا :" فقبره وقبر ولده اسحاق -عليهما السلام- في المربعة التي بناها سليمان بن داود -عليهما السلام- ببلد حبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم وهذا تلق بالتواتر امة بعد امة وجيل بعد جيل من زمن بنى اسرائيل والى زماننا

---

(١) انظر : تاريخ الطبرى (١ : ٣١٢)، تاريخ ابن الاثير (١ : ١٢٤)، تاريخ ابن كثير (١ : ١٧٤)، تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٩)، كتاب " الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل" (١ : ٥٣) دار الجيل بيروت -لبنان .

هذا ان قبره بالمربعة تحقيقا ، فأما تعيينه منها فليس فيه خبر صحيح عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تراعى تلك المحلة وان تحترم احترام مثلها وان تبجل وان تجل ان يداس في ارجائها خشية ان يكون قبر الخليل او احد اولاده الانبياء عليه السلام ـ تحتها")[1] . ا.هـ

* * *
* *
*

---

(١) تاريخ ابن كثير (١ : ١٧٤ - ١٧٥) .

الباب السابع

فـي ذكر شبه المستشرقـين
حول ابراهيم ـ عليه السلام ـ وردهـا

لقد لعب المستشرقون ومن لف لفهم من اشباههم دورا هاما وفعالا في التشكيك والتضليل متظاهرين بما يقدمونه للناس من بحوث علمية ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، ولقد تفننوا في دس السم في الدسم فأثاروا كثيرا من الشبه حول الاسلام كما اثاروا بعض الشبه حول خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام واغتر بهم الكثيرون فساروا على نهجهم يخطون خطاهم وينهجون نهجهم، ولقد عرضت لهؤلاء وهؤلاء فيما وصل الى علمي ببعض شبههم حسب طاقتي وجهدي والله سبحانه وتعالى المستعان .

ودونك بعض هذه الشبهه وماقيل في الرد عليها .

الشبهة الاولى :

وهي التي اثارها اسبرنجر وسنوك هرجر ونييه وفنسك من المستشرقين وحاصلها : ان السور المكية لم تذكر لاسماعيل صلة بابراهيم ولم تذكر قط ان ابراهيم - عليه السلام - هو واضع البيت ولا انه اول المسلمين اما السور المدنية فقد ذكرت ابراهيم عليه السلام بالاسلام، وانه هو واضع البيت وانه هو الذى رفع مع اسماعيل قواعد البيت المحرم، وزعموا ان سر هذا الاختلاف هو : ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان قد اعتمد على اليهود في مكة فلما انقلبوا عليه تخلى عن يهوديتهم واتصل بيهودية ابراهيم تلك اليهودية التي هي بمثابة تمهيد ومقدمة لدين الاسلام .

ونص هذه الشبهة ماجاء في دائرة المعارف الاسلامية حيث قالت :

(" كان اسبرنجر اول من لاحظ ان شخصية ابراهيم كما في القرآن مرت بأطوار قبل ان تصبح في نهاية الامر مؤسسة للكعبة . وجاء سنوك هرجر ونييه بعد ذلك بزمن فتوسع في بسط هذه الدعوى فقال : ان ابراهيم

فى اقدم مانزل من الوحى (الذاريات آية ٢٤ ومابعدها[١] ،والصافات آيــة ٨٣ ومابعدها[٢] ،والانعام آية ٧٤ ومابعدها[٣]) ،هو رسول من اللـــــه

---

(١) يريد بهذه الايات قوله تعالى :" هل اتاك حديث ضيف ابراهـــيم المكرمين ،اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ،فــراغ الى اهله فجاء بعجل سمين ، فقربه اليهم قال الا تأكلون ،فأوجــس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ،فأقبلت امرأته فى صـــرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ،قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم ،قال فما خطبكم ايها المرسلون ،قالوا انا ارسلنا الى قـــوم مجرمين ،لنرسل عليهم حجارة من طين ،مسومة عند ربك للمسرفـــين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ،فما وجدنا فيها غير بيت مـــن المسلمين" .

(٢) يريد بهذه الايات قوله تعالى :" وان من شيعته لابراهيم ،اذ جاء ربه بقلب سليم ،اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ،أئفكا آلهة دون الله تريدون ،فما ظنكم برب العالمين ،فنظر نظرة فى النجوم ،فقال انـــى سقيم ،فتولوا عنه مدبرين ،فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون ، مالكـــم لا تنطقون ،فراغ عليهم ضربا باليمين ،فأقبلوا اليه يزفون ،قال اتعبدون ماتنحتون ،والله خلقكم وماتعملون ،قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فـــى الجحيم ،فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين ،وقال انى ذاهب الـى ربى سيهدين ،رب هب لى من الصالحين ،فبشرناه بغلام حليم ،فلمــا بلغ معه السعى قال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظـــر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين ،وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انـا كذلك نجزى المحسنين ،ان هذا لهو البلاء المبين ،وفديناه بذبـــح عظيم ،وتركنا عليه فى الاخرين ،سلام على ابراهيم كذلك نجـــــزى المحسنين ،انه من عبادنا المؤمنين" .

(٣) يريد بهذه الايات قوله تعالى :" واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخـــذ =

انذر قومه كما تنذر الرسل ، ولم تذكر لاسماعيل صلة به ، ولم يذكر قط ان ابراهيم هو واضع البيت ولا انه اول المسلمين ، اما السور المدنية فالامر فيها على غير ذلك فابراهيم يدعى حنيفا مسلما رفع مع اسماعيل قواعد البيت المحرم - الكعبة - كما قال تعالى " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم "[١] وقال تعالى " ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين "[٢] وسر هذا الاختلاف ان محمدا كان قد اعتمد على اليهود فى مكة فما لبثوا ان اتخذوا حياله خطة عداء فلم يكن له بد من ان يلتمس غيرهم ناصرا ، هناك هداه ذكاء مسدد الى شأن جديد لابى العرب ابراهيم وبذلك استطاع ان يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية ابراهيم تلك اليهودية التى كانت ممهدة للاسلام ، ولما اخذت مكة تشغل جل

= اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين ، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الافلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وماأنا من المشركين ، وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا اخاف ماتشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما افلا تتذكرون ، وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون ، الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون ، وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم " .

(١) البقرة : ١٢٧ .
(٢) آل عمران : ٦٧ .

تفكير الرسول اصبح ابراهيم ايضا المشيد لبيت هذه المدينة[١] المقدسة")[٢] .

ومن فند هذه الشبهة وابطلها ودحضها محمد فريد وجدى فقد علق عليها بقوله :

(" لم يقل واحد من المؤرخين سواء أكانوا مسلمين ام اجانب ان النبى صلى الله عليه وسلم استعان فى نشر دعوته باليهود بل قالوا : انهم كانوا من اشد المعارضين له والمؤلبين عليه فى مكة والمدينة معا وقد ورد ذلك فى القرآن نفسه فقال تعالى : " لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى"[٣] ولم يكن عرب الجاهلية يمنحون كل ماعليه طابع يهودى اى اعتبار ، بل الذى ورد انهم كانوا يكرهون جوارهم ويقاتلونهم ليجلوهم عن مواطنهم التى اختاروها دارا لهجرتهم .

وليس القرآن اول من قال : ان جد العرب الاسماعيلية اوالعدنانية ابراهيم ولكن التوراة سبقت الى ذلك اذ قالت : ان ابراهيم اسكن سريته هاجر وابنها اسماعيل بلاد العرب فنشأ منهم العرب الاسماعيلية ، ولم يعتز الاسلام قط بالانتساب الى يهودية ابراهيم ، ولكنه نازع اليهود عقيدتهم فى يهوديته فقال تعالى : " ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين"[٤] وقال تعالى : " ياأهل

---

(١) يعنى بالمدينة : مكة المكرمة .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ـ لفنسك وجماعة من الاوربيين ـ المجلد الاول ص ٢٧ ـ ٢٨ ـ الطبعة الثانية ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م ـ مصر .

(٣) المائدة : ٨٢ .

(٤) آل عمران : ٦٧ .

الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون[1] ، وماكان الاسلام فى عهد من عهوده بحاجة الى معهد من اليهودية لان مذهب القرآن : ان الاسلام كان الدين الاقدم الذى اوحاه الله للبشرية فحرفه رؤساء الاديان ، واخرجوه عن صراطه ، فكان الله تعالى يرسل المرسلين لتخليصه مما ادخل اليه حتى ارسل به محمدا صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان فقال "شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب، وماتفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب، فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير"[2] فالقرآن كما نرى يرتفع بالدين الى اصله الاول على عهد نوح لا براهيم ويصرح بان ابراهيم تلا نوحا فى القيام على هذا الاصل فهو تابع لا متبوع .

اما الكعبة فلم تكن هيكلا عجيب الصنع بعيدة الغور فى الفن والزخرف حتى تتنازعها الامم ، ولكنها كانت بناء ساذجا مربعا من الطراز الذى يبنيه الناس بأنفسهم ليجعلوه مصلى ، فهل يستبعد على ابراهيم ان يبتنى له ولابنه بناء من هذا الطراز يصليان فيه ، واذا ثبت ان

---

(١) آل عمران : ٦٥ .

(٢) الشورى : ١٣ - ١٥ .

ابراهيم عليه السلام اوصل ابنه الى تلك البقعة من بلاد العرب، وقد ثبت بنص التوراة ذلك فيكون من المتعين ان يتخذ له فيه بنية ساذجة يجعلها متعبدا له، ولم ينازع احد الى اليوم ابراهيم فى انه بانى ذلك المصلى حتى يصح ان يقال ان محمدا نسبه اليه تعظيما لشأنه، ولم تختص الكعبة وحدها بأنها بيت الله فكل المساجد بيوت الله عند المسلمين وانما عظمت الكعبة لانها اول بيت لله وضع للناس بمكة .

ومما يدل على ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتخذ بناء الكعبة اساسا من اسس دعوته انه امر اصحابه ان يولوا وجوههم فى صلاتهم بيت المقدس طوال مقامه بمكة ومما يثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يجعل معتمده فى الدعوة الى الاسلام انه دين ابراهيم مايقوله اسبرنجر وهرجر ونبيه نفساهما انه لم يصرح بذلك الا فى المدينة، فلو كان ما ادعياه صحيحا، لكان اولى بذلك ان يكون وهو بمكة بين قبائل كلها تعتزى الى ابراهيم، اما وقد انتقل الى المدينة، وجميع اهلها من قبائل اليمن الذين لا ينتسبون الى ابراهيم فلم يكن من ضرورب الخلابة لو كان محمد يعتمد عليها ان يتذرع بهذا الموضوع لانه ليس موضعه").[1] اهـ

وممن فند هذه الشبهة ايضا من وجه آخر الدكتور حسين الهراوى فى كتابه " المستشرقون والاسلام" حيث قال فيه :" قال فنسنك[2] : انه لم تذكر فى السور المكية صلة لاسماعيل بابراهيم وذكر لنا سورة الانعام كدليل على ذلك فانظر الى الاية السادسة والثمانين[3] حيث ذكر اسماعيل

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الاول ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢) اى فى دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الاول ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣) يريد بذلك قوله تعالى " ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا =

صراحة ولم يذكر فنسنك رقم هذه الاية مع انها فى نفس سورة الانعام لانها تهدم نظريته من اساسها .

ثم انظر سورة ابراهيم وهى مكية الا آيتى ٢٨ و ٢٩ فقد ذكر تعالى فى آية ٣٧[1] فما بعدها مايفيد صراحة بأن اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام - وهى من قوله تعالى : " ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم " الى قوله " الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعا " .

اذن فقد ورد فى السور المكية التى اعتمد عليها فنسنك ان اسماعيل هو ابن ابراهيم عليهما السلام وان ابراهيم دعا ربه عند بيت الله المحرم .

وان دعوى فنسنك ان الاسلام ليس دينا قديما ولا يمت الى ملة ابراهيم بصلة فانظر الى سورة الذاريات تجد حديث ضيف ابراهيم المكرمين يبشرونه بابنه ويقصون عليه قصة لوط ومدينته . قال تعالى " فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين "[2].

= هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين " .

(١) يريد بذلك قوله تعالى : " ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، ربنا انك تعلم ماتخفى وماتعلن ومايخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء" .

(٢) الذاريات : ٣٥ - ٣٦ .

اذن ففى هذه الاية اعتراف صريح بأن الاسلام دين قديم وهو ملة ابراهيم حيث يحدثه ضيفه عن بيت من المسلمين .

اذن فدعوى فنسك خطأ .

وان دعوى فنسك : انه لم يذكر قط ان ابراهيم هو واضع البيت ولا انه اول المسلمين .

يريد فنسك ان يقول بعبارة اخرى : ان التاريخ المأخوذ من الاناجيل هو الحقيقة وان ابراهيم لم يذهب الى مكة وان هذه الدعوى لم تذكر الا بعد الهجرة الى المدينة .

وانظر قوله تعالى فى سورة ابراهيم المكية : " واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ، رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه مني ومن عصانى فانك غفور رحيم ربنا انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون "[1] .

هذا يدل دلالة واضحة على ان ابراهيم كان اول من اسس هذا المكان المنعزل السحيق .

واخيرا فقد ذكر هذا البيت فى السور المكية التى انكر وجودها فنسك واذا كانت هذه هى الحقيقة قد وردت فلماذا لم يذكرها فنسك ؟ ان الغرض من ذلك واضح هو ان الاستشراق مهنة ضد الاسلام ")[2] . ا.هـ

---

(١) ابراهيم : ٣٥ - ٣٧ .

(٢) كتاب " المستشرقون والاسلام " للدكتور حسين الهراوى - ص ٧٧-٧٩ الطبعة الاولى ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م - مطبعة المنار بمصر .

الشبهة الثانية وماقيل في الرد عليها :

وهي التي اثارها الدكتور طه حسين :

وحاصلها انه ليس لابراهيم واسماعيل وجود حقيقي في القرآن .

وان تعلم اسماعيل العربية عن جرهم كذب .

ونصها كما جاء في كتابه " الشعر الجاهلي " :

" للتوراة ان تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللقرآن ان يحدثنا عنهما ايضا ـ ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي "[1] .

وقال ايضا : " ان تعلم اسماعيل العربية عن جرهم حديث اساطير "[2] .

وقد علق على هذه الشبهة الاستاذ محمد حسين بقوله : " القرآن والتوراة لا يكفيان في نظر طه حسين لاثبات وجود ابراهيم واسماعيل قوله بهذا يكذب الكتب السماوية "[3] . ا . هـ

وممن دحض هذه الشبهة وفندها الاستاذ مصطفى صادق الرافعي حيث قال :

يقول طه حسين : " للتوراة ان تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن ان يحدثنا عنهما ايضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة

---

(١) كتاب " الشعر الجاهلي والرد عليه " تأليف طه حسين ، ووضع محمد حسين ـ ص ٣٣ ـ مطبعة الشباب بمصر .

(٢) كتاب " الشعر الجاهلي والرد عليه " تأليف طه حسين ، ووضع محمد حسين ـ ص ٣٥ ـ مطبعة الشباب بمصر .

(٣) كتاب " الشعر الجاهلي والرد عليه " تأليف طه حسين ، ووضع محمد حسين ـ ص ٤٢ ـ ٤٣ ـ مطبعة الشباب بمصر .

والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي ، فضلا عن اثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل وابراهيم الى مكة" .

ثم بعد ان ساق مصطفى صادق الرافعي كلام طه حسين قال :

(" فانظر هذه الوقاحة في قوله " للقرآن ان يحدثنا" واذا لم يكف النص في كتاب سماوي تدين به الامة كلها لاثبات وجود المنصوص عليه فما بقي معنى لتصديقه واذا هو ذكر اثنين من الانبياء بقوله " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل" فذلك غير كاف في رأى طه حسين لاثبات ان ابراهيم واسماعيل شخصان كان لهما وجود تاريخي ، ولا انهما هاجرا الى مكة . واذن فالقصة في رأى طه حسين من الاساطير الموضوعة ومما يلتحق بحيل الروائيين التي يشدون بها المعاني الاجتماعية والسياسية والتاريخية ويؤتى بها في الرواية على انها من الكذب الفني توصلا الى سبك حادثة او تقرير معنى او شرح عاطفة ، ثم كيف دخل هذا الكذب في القرآن . . نبئوني بعلم ان كنتم صادقين . واذن فلم يبق معنى لما ورد في القرآن من انه " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ".[1]

ثم قال مصطفى صادق الرافعي : ان طه حسين هذا مجموعة اخلاق مضطربة وافكار متناقضة وطباع زائغة ، وطه رجل ارسلوا لسانه وقلبه الى اوربا فرجع بلسانه وترك قلبه هناك في خرائب روما فيجب ان يكون تفاقه وشرشرته مقصورين على نفسه ويجب ان ينهض علماؤنا في الزام هذه الجامعة[2] ان تعلن براءتها من آراء استاذها حتى لا يزيغ به احد فتبقى

---

(١) فصلت : ٤٢ .

(٢) الجامعة المصرية حيث كان طه حسين من اعضاء هيئة التدريس فيها ثم كان عميدا لكلية الاداب فيها .

قيمته وقيمة آرائه كما هو فى نفسه وأهون به ")[1] . اهـ

واقول :

ليس بغريب على طه حسين ان ينتحل هذه الاراء ويقول بهـا فهو تلميذ المستشرقين وممـن رضع لبانهم وتربى فى احضانهم فلا يستبعد ان يكون متبنيا هذه الافكار عن الغير او قائلا لها من ذات نفسه فان كان مرتجلا هذه الترهات من بنـات افكـاره فقـد طمس الله على بصيرته - وان كان متبنيها عن آبائه واساتذتـه مـن المستشرقين فهو ابن بار وتلميذ وفى ، وقد ادى الامانة ، فكفاهم مؤونـة التضليل ، لكنه فى نظرى اخطر من المستشرقين لان المستشرقين يعرفـون من خلال اسمائهم فأمرهم بيّن واضح ، اما طه حسين فمن جلدتنا وممـن يتكلمون بألسنتنا ومحسوب على المسلمين بأنه منهم فاغتر به الكثيرون مـن المعجبين بكتاباته التى ظاهرها النعومة وفى باطنها السم القاتل .

وهل هناك شئ يثبت الوجود التاريخى لابراهيم واسماعيل اكثر مـن كتاب الله تعالى الذى جاءنا متواترا عن الله تعالى اصدق القائلـين حيث يقول تعالى عن ابراهيم واسماعيل " واذ يرفع ابراهيم القواعد مـن البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم "[2] .

وصحيح سنة رسوله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهـوى فقد ورد فى الحديث الصحيح الطويل عند البخارى وجاء فيه : " حـتى

---

(١) كتاب " تحت راية القرآن " لمصطفى صادق الرافعى (ص ١٤٥-١٧٥) الطبعة الرابعة - مطبعة الاستقامة بالقاهرة - ضبط وتصحيح : محمد سعيد العريان .

(٢) البقرة : ١٢٧ .

مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى اسفل مكة فرأوا طائرا عائفا[1] فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى ومافيه ماء فأرسلوا جريا[2] او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال وام اسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذنين لنا ان ننزل عندك ؟ فقالت : نعم، ولكن لا حق لكم فى الماء . قالوا : نعم، قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : فألفى ذلك ام اسماعيل وهى تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم[3] ا.هـ محل الغرض من الحديث، والحقيقة ان انكار مثل ذلك يعتبر كفرا صريحا .

الشبهة الثالثة وماقيل فى الرد عليها :

وهى التى اثارها محمد فريد وجدى، وحاصلها :

ان هجرة ابراهيم الى مكة بهاجر ورضيعها اسماعيل وتركه لهما هناك فى ذلك المكان الموحش كذب وهراء ولا يصدقه العقل لانه لا يعقل ان يقدم ابراهيم عليه السلام على مثل هذه الفعلة التى لا رحمة فيها .

ونصها كما جاء فى كتابه " دائرة معارف القرن الرابع عشر، العشرين" بعد ان ساق حديث البخارى الطويل الذى يتحدث عن هجرة ابراهيم بهاجر وابنها اسماعيل وتركهما فى مكة ونبوع زمزم ... الخ قال : (" هذا مانقلناه من الكتب القديمة ويظهر لنا ان فى هذه الروايات ضعفا بل

(١) عائفا : هو الذى يحوم على الماء ويتردد ولا يمضى عنه .

(٢) جريا : اى رسولا ، وقد يطلق على الوكيل وعلى الاجير .

انظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى (٦ : ٤٠٣) .

(٣) صحيح البخارى ـ كتاب احاديث الانبياء (٤ : ١١٤) .

ان اكثر امثال هذه الروايات مخلوطة بالخرافات فلا يعقل ان نبيا جليلا من اولى العزم كابراهيم يلقى بامرأته وابنه فى واد قاحل لا زرع فيه ولا ماء ويلوح لنا ان ابراهيم لم يطوح بامرأته وولده الى هذا الحد بل انتقل بامرأته الثانية الى جهات مكة لغرض من الاغراض بدليل انه كان زار بلاد العرب مرارا")(١) .

اقول كما قال القائل :

وتنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

ان محمد فريد وجدى لا يفرق بين رحمة الانسان بولده وبين ثقته بربه تعالى وصدق توكله عليه وسرعة تنفيذ اوامره ، فابراهيم الحليم انما كان تصرفه ذلك الذى لم يفهمه محمد فريد وجدى مسارعة منه الى تنفيذ امر ربه لحكمة يعلمها الله تعالى وحده ، ولم يكن عن قسوة حاشاه عليه السلام ، ثم ان هذا الخبر الذى ذكره جاء فى اصح الكتب بعد كتاب الله تبارك وتعالى ، وان القرآن الكريم ايد هذا الخبر بقوله : " ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون "(٢) . ا . هـ

الشبهة الرابعة وماقيل فى الرد عليها :

ذهب بعض الناس الى ان ابراهيم ـ عليه السلام ـ ساوره الشك فى احياء الله تعالى للموتى ، وايدوا ماذهبوا اليه بما جاء فى القرآن الكريم

---

(١) دائرة معارف القرن الرابع عشر ، العشرين لمحمد فريد وجدى (١:٣ ٤ ٣) .

(٢) ابراهيم : ٣٧ .

من قوله تعالى :" واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصيرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم"(١) ، وبما جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى"(٢) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٠ .

(٢) صحيح البخارى - كتاب التفسير (٦ : ٢٦ - ٢٧) .

المراد بقوله صلى الله عليه وسلم :" نحن احق بالشك من ابراهيم" وردت فى فتح البارى عدة معانى لهذه الكلمة وهى كما يلى :

قيل : معناه نحن اشد اشتياقا الى رؤية ذلك من ابراهيم .

وقيل معناه : اذا لم نشك نحن فابراهيم - عليه السلام - اولى ان لا يشك اى لو كان الشك متطرقا الى الانبياء لكنت انا احق به منهم ، وقد علمتم انى لم اشك فاعلموا انه لم يشك قال ذلك تواضعا منه صلى الله عليه وسلم ، او من قبل ان يعلمه الله تبارك وتعالى بانه افضل من ابراهيم .

وقيل معناه : هذا الذى ترون انه شك انا اولى به لانه ليس بشك انما هو طلب لمزيد البيان .

وحكى بعض علماء العربية ان " افعل" ربما جاءت لنفى المعنى عن الشيئين نحو قوله تعالى " اهم خير ام قوم تبع" اى لا خير فى الفريقين فعلى هذا فمعنى قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - " نحن احق بالشك من ابراهيم" اى لا شك عندنا جميعا . ا.هـ

من فتح البارى (٦ : ٤١٢) .

وقد اجاب عن هذه الشبهة واجاد القول فيها والرد عليها ابن قتيبة في كتابه " تأويل مختلف الحديث" حيث قال : " انه ليس فيه شيء مما ذكروا بحمد الله تعالى ونعمته ، فأما قوله صلى الله عليه وسلم " نحن احق بالشك من ابراهيم" فانه لما نزل عليه - صلى الله عليه وسلم - قوله تعالى :" واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي"[1] قال قوم سمعوا الاية : شك ابراهيم - صلى الله عليه وسلم - ولم يشك نبينا - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن احق بالشك من ابراهيم تواضعا منه وتقديما لابراهيم - عليه السلام - على نفسه - يريد انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو، وتأويل قول ابراهيم - عليه السلام " ولكن ليطمئن قلبي " اي : يطمئن بيقين النظر ، واليقين جنسان :

احدهما : يقين السمع، والاخر : يقين البصر ، ويقين البصر اعلى اليقينين ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس المخبر كالمعاين حين ذكر قوم موسى - عليه السلام - وعكوفهم على العجل قال : اعلمه الله تعالى ان قومه عبدوا العجل فلم يلق الالواح فلما عاينهم عاكفين غضب والقى الالواح حتى انكسرت ، وكذلك المؤمنون بالقيامة والبعث والجنة والنار مستيقنون ان ذلك كله حق وهم في القيامة عند النظر والعيان اعلى يقينا فأراد ابراهيم - عليه السلام - ان يطمئن قلبه بالنظر الذي هو اعلى اليقينين"[2].

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .

(٢) " تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة (ص ١١٦ - ١١٧) - الطبعة الاولى سنة ١٣٢٦هـ - مطبعة كردستان العلمية بمصر .

وممن فند هذه الشبهة ايضا الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى في فتح الباري حيث قال نقلا عن البعض : ان الحديث مبنى على نفي الشك ، والمراد بالشك فيه الخواطر التى لا تثبت . اما الشك المصطلح عليه وهو : التوقف بين الامرين من غير مزية لاحدهما على الاخر فهو منفى عن الخليل عليه السلام قطعا لانه يبعد وقوعه ممن رسخ الايمان في قلبه فكيف بمن بلغ رتبة النبوة ، واما طلبه طمأنينة القلب فلزيادة السكون بالمشاهدة المنضمة الى اعتقاد القلب لان تظاهر الادلة اسكن للقلوب وكأنه قال : انا مصدق ولكن للعيان لطيف معنى .

ومما قاله ابن حجر ايضا عن القاضي عياض حيث قال : " لم يشك ابراهيم - عليه السلام - بأن الله تبارك وتعالى يحيى الموتى ولكن اراد طمأنينة القلب بسؤاله زيادة اليقين وان لم يكن قد شك أبدا لان الامور تتفاوت في قوتها فأراد الترقى من علم اليقين الى عين اليقين[1] والله تبارك وتعالى اعلم .

* * *
* *
*

---

(١) بتصرف من فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦ : ٤١٢) .

الخاتمـــــة

في استنتاج بعض العبر والعظات من قصة الخليل ابراهيم عليه السلام .

وبعد هذه الدراسة المتواضعة لحياة الخليل ابراهيم عليه الســـلام فاننا نجد في قصته ـ عليه السلام ـ مواقفا تحمل في طياتها كثيرا مـــــن العظات والعبر، فقد كانت قصة ابراهيم عليه السلام تمثل حلقة في سلسلـة الصرامات منذ زمن بعيد بين الحق والباطل ، ومن هذه العبر والعظات :

اولا :

ان البذرة الصالحة قد تخرج من منبت السوء ، فابراهيم عليه الســـلام انما بعث من ذلك الوكر الهابط والمجتمع الملحد والبيئة الفاسدة المنحطة ومن ذلك الوسط الذي يموج بالخرافات والترهات ويعمه الجهل ويخيم عليه الظلام الدامس حتى بات اهله يتقلبون في احضانه بين عبادة الحجارة الصماء والكواكب والافلاك من دون الله تعالى والتقرب اليها بسائر القربـــــات واخذوا يستشفون علم الغيب وحوادث المستقبل من طريقها ، ومن أب كافـــر قيّم على الاصنام يعبدها وينحتها ويتاجر بها للناس ليعبدوها ، وفي عصــر ملك طاغية غاشم ظالم جبار متمرد متكبر مدع للالوهية فكان المجتمع من حـــول ابراهيم عليه السلام كله بيئة فاسدة تلعب بها الاهواء ولا ينتظر ان يخرج من بينها نبات حسن يتألق نجمه ولكن الله تبارك وتعالى القادر الحكيم العليـم اخرج من ذلك المجتمع المنحط والوسط الرهيب الذي يغص بالمنكرات خليله ابراهيم عليه السلام واختاره ليكون ابا للانبياء وحفظه من التلوث بأقـــــذار

ذلك المجتمع ورعاه بعنايته وكلأه بحفظه ورباه على عينه منذ نعومة اظفاره فنشأ ابراهيم عليه السلام نشأة طيبة مباركة لم يدنسه من امر قومه شيء ولم يعلق به ماتوارثه الآباء والاجداد من معتقدات زائفة واهواء زائفة وصدق الله العظيم حيث يقول : " ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين " (١).

ثانيا :

انه لا يقلل من شأن الانبياء ان يكون فى آبائهم او ممن يربطه بهم نسب او مصاهرة من كان كافرا ، ولا يعتبر ذلك وصمة عار فى حقهم ولا يضيرهم ذلك شيئا فقد كان ابن نوح كافرا وابوه من الانبياء واولى العزم منهم -عليهم السلام - وكانت زوجه كافرة كما كان آزر والد ابراهيم كافرا وكان ابنه ابراهيم عليه السلام خليل الله وأبا الانبياء ومن اولى العزم منهم .

ثالثا :

جرت حكمة الله تعالى فى خلقه منذ قديم الزمان ان الحق لا يعدم معاديا على مدى الايام وتعاقب الاجيال ، فمنذ اول الزمان ولد الحق والباطل توأمان على مسرح هذا الوجود ونشآ وشبا معا فكانا كفرسى رهان ومازالا مقترنين متلازمين لا يفترقان فقد وجد ابو الخليقة آدم عليه السلام ووجد معه ابليس اللعين الذى كان سببا فى اغوائه حتى انزله من عليا السموات ثم اخذ العهد على نفسه ان ليحتنكن ذريته الا قليلا - وقد عقد العزم الصادق على ذلك دأبا دون انقطاع فأخذ وذريته وجنوده يترصدون

---

(١) الانبياء : ٥١ .

للحق واتباعه وهكذا كلما وجد للحق اهل يؤمنون به ويعتقدونه ويتشبثون به ويذودون عن حياضه الا ووجد عصبة للباطل تناوئهم وتقاومهم وتعرقل سيرهم وتقف حاجزا منيعا بينهم وبين اتباع الحق " يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون"[(١)] .

وقد اقتضت سنة الله تعالى ان تكون عاقبة الحق ان ينتصر ونهاية الباطل ان يندحر، وهاهو التاريخ يعيد نفسه على مر الازمان فدولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة فلقد ولى نمروذ ودولته وولى الطغاة فى زمن ابراهيم عليه السلام ونارهم المزعومة بينما بقى ذكر ابراهيم عليه السلام مخلدا فى الاخرين .

رابعا :

ان طريق الدعوة شاق وطويل تعترضه النكبات وتعرقل سيره العقبات وتحيط به المخاطر، فليس هو مفروشا بالورود ، قال تعالى :" احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون"[(٢)] وقال تعالى :" أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب"[(٣)] وقد رأينا كيف لاقى ابراهيم عليه السلام فى سبيل تبليغ دعوة ربه تلك الصعوبات من صنوف الايذاء من والده وقومه حتى القى فى النار .

---

(١) التوبة : ٣٢ .
(٢) العنكبوت : ٢ .
(٣) البقرة : ٢١٤ .

خامسا :

جرت عادة الله تعالى وسنته بحفظ انبيائه وعباده الصالحين فهو يتولاهم بالحفظ والرعاية والنصر والتأييد ويكلؤهم برحمته ويحوطهم بعنايته ولا يتخلى عن اوليائه ولا يدع الصالحين من عباده وقد قال تعالى : " انا لننصر رسلنا والذين آمنوا "[١] ، وقال تعالى : " وكان حقا علينا نصر المؤمنين "[٢] وقد حفظ الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام من نار قومه ان تفتك به فجعلها بردا وسلاما .

كما حفظ زوجه سارة من جبار مصر من ان تنالها يده بسوء وقد مر ذلك في حديث البخارى الصحيح في باب الهجرات، كما حفظ ايضا زوجه هاجر وابنه اسماعيل من الضياع والهلاك في صحراء مكة الموحشة حيث لا أنيس ولا سمير ولا زاد ولا ماء وقد صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث البخارى وقد مر ذلك في باب الهجرات من هذه الرسالة ايضا .

سادسا :

من صفات الداعية الحكيم الحلم ولقد علمنا من حلم ابراهيم عليه السلام ما وصفه ربه تعالى به في قرآنه حيث قال : " ان ابراهيم لحليم اواه منيب "[٣] وكان من حلمه حسن موقفه لا جميل صبره حتى مع اعدائه والداه من خصومه وعلى رأسهم ابوه الذى ما فتئ يهدد ولده بالرجم والهجران بقوله : " لئن لم تنته لا رجمنك واهجرني مليا "[٤] فكان ابراهيم

---

(١) غافر " المؤمن " : ٥١ .
(٢) الروم : ٤٧ .
(٣) هود : ٧٥ .
(٤) مريم : ٤٦ .

عليه السلام يقابل ذلك الجفاء وتلك الغلظة من والده بطيب نفس ورحابة صدر ورضاء خاطر وجميل القول فقال له " سلام عليك "[١] ولم يقف عند هذا الحد بل وعد اباه بالاستغفار له رغم ماصدر منه فقال " سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا "[٢] وقال " لأستغفرن لك "[٣] وقد وفى ابراهيم عليه السلام بوعده فقال " ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب "[٤] وقال " واغفر لابى انه كان من الضالين "[٥] .

سابعا :

ثقة المؤمن بربه تبارك وتعالى فى احلك الظروف واشد الازمات فابراهيم عليه السلام حينما القى فى النار كان رابط الجأش مطمئن الفؤاد عظيم الايمان فقال : حسبى الله ونعم الوكيل ـ وقالتهاجر زوجه حينما تركها ابراهيم وابنها الرضيع اسماعيل فى المفازة المهلكة ثم ادبر عنهما فلما ألحت عليه لمن يتركهما ؟ ثم سألته : أ الله امرك بهذا ؟ قال : نعم قالت : اذا لن يضيعنا .

ثامنا :

اختلاف الدين لا يمنع من البر بل هو مطلوب، وقد كان ابراهيم عليه السلام مثلا اعلى فى بره بأبيه الكافر وكان مثالا يحتذى حذوه فقد كان يخاطبه بألطف عبارة ولا يعنفه ولا يزعجه ويعفو عما يصدر منه اليه .

---

(١) مريم : ٤٧ .

(٢) مريم : ٤٧ .

(٣) الممتحنة : ٤ .

(٤) ابراهيم : ٤١ .

(٥) الشعراء : ٨٦ .

تاسعا :

ان الداعية اذا لم يجد متنفسا لدعوته عليه ان يفر بدينه من الارض الجرز الى اخرى خصبة يغرس فيها بذور دعوته كما وقع لابراهيم عليه السلام حين هاجر من ارض بابل فى العراق الى حران - ثم الى بلاد الشام من ارض الكنعانيين .

عاشرا :

ان الانبياء عليهم السلام اوتوا من الحكمة البالغة مايتمكنون به من مواجهة جميع فئات الناس على مختلف مستوياتهم وتباين اتجاهاتهم واقناعهم بالحجة ومناظرتهم بالادلة العقلية والبراهين المنطقية الواضحة التى تجلى المبهم وتوضحه وتفصل المجمل وتكشفه وتطلق المفيد وتشرحه وتكون اقطع للخصم وابين للناس كما حصل للنمروذ مع ابراهيم حيث حاجه فى ربه فناظره ابراهيم عليه السلام وذكر له من صفات ربه الاحياء والاماتة فكابر النمروذ وادعاهما لنفسه واتى برجلين حكم عليهما بالاعدام فأطلق احدهما وقال احييته ونفذ الحكم فى الاخر وقال أمته ، وانتقل ابراهيم عليه السلام الى شىء يكون اقطع للنمروذ ويخرسه ولا يمكنه اللجاج معه ويكون ابين للناس فطلب منه ان يغير فى نظام هذا الكون البديع الرتيب فيعكس نظام بزوغ الشمس وهنا انقطع الكافر وبهت وصدق الله حيث يقول " ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك ، اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين " .[1]

---

(١) البقرة : ٢٥٨ .

الحادي عشر :

ان المؤمن اذا فقدت رابطة الدين بينه وبين آخر ينبغي ان لا تمسك معها وشائج صلة من رابطة نسب او مصاهرة او مصلحة او غيرها من روابط الصلات، وابراهيم عليه السلام قد تبرأ من ابيه بعد أن تبين له اصراره على الكفر قال تعالى في حق ابراهيم " وماكان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم"(١) وقال تعالى :" لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه"(٢) ، وقد قال تعالى :" قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده "(٣).

الثاني عشر :

ان المؤمن معرض في هذه الدنيا للابتلاء والامتحان في عقيدته وفي نفسه وماله واهله وولده . قال تعالى :" لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا"(٤) وان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وقد مر بنا كيف ان ابراهيم

---

(١) التوبة : ١١٤ .
(٢) المجادلة : ٢٢ .
(٣) الممتحنة : ٤ .
(٤) آل عمران : ١٨٦ .

عليه السلام قد تعاقبت عليه احداث جسام ومحن عظام وكانت حياته سجلا حافلا بالابتلاءات فهو لا يكاد ينتهى من ابتلاء حتى يدركه ابتلاء آخر فقد ابتلى فى عقيدته ففر بدينه الى الله وابتلى فى نفسه بالتعرض للاحراق بالنار، وفى ماله ببذله للضيفان وفى اهله للتعرض لسطوة الجبابرة وأذاهم وفى ولده بتركه طفلا رضيعا فى مكان قفر موحش حيث لا أنيس ولا سمير ولا زاد ولا ماء وفى الامر بذبحه اخيرا .

الثالث عشر :

على الداعية ان يتحلى بالصبر الجميل فبالصبر ينال مايريد لانه يواجه المدعويين على اختلاف واسع فى طبائعهم واخلاقهم وبون شاسع فى اتجاهاتهم واهوائهم وتفاوت عريض فى ثقافاتهم وافكارهم فلابد من الصبر الذى يمكن الداعية من استمالة هؤلاء جميعا ليكونوا فى صفه بدلا من النفور منه ، وقد مربنا صبر ابراهيم عليه السلام على اعدائه وألدائه من خصومه ومنهم ابوه الكافر .

الرابع عشر :

ان المستشرقين واشباههم ممن لف لفهم حاولوا ان يلقوا ظلالا من الشك والشبه فى كتاب الله تعالى وفى صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغية تشكيك المسلمين فى عقيدتهم وصرفهم عن دينهم وبلبلة افكارهم وقد تكبدوا فى سبيل ذلك خسائر فادحة واضاعوا اموالا طائلة فى سبيل الباطل وجاهدوا جهاد المستميت غير انهم باءوا بالفشل لان الله تعالى قد تكفل بحفظ قرآنه الكريم منذ انزله قال تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " كما يلزم من حفظ القرآن الكريم حفظ السنة الصحيحة المطهرة

فان السنة الصحيحة بيان للقرآن ومن حفظ القرآن ان يحفظ بيانه .

والله تبارك وتعالى اعلم .. وصلى الله تعالى على سيدنا ونبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *
* *
*

فهرست المراجـــع

(١) القرآن الكريم .

الكتب المخطوطة :

(٢) مثير الغرام فى فضل سيدنا الخليل عليه السلام
لتاج الدين اسحاق التدمرى الكلابى الشافعى المتوفى سنة ٨٣٣هـ.
مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ـ زاوية التاريخ رقم ٢٢٨ .

الكتب المطبوعة :

كتب التفسير :

(٣) تفسير الطبرى المسمى " جامع البيان عن تأويل القرآن"
لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ .
تحقيق محمود محمد شاكر ـ دار المعارف بمصر .

(٤) تفسير الطبرى ـ الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م
مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر .

(٥) تفسير البغوى المسمى " معالم التنزيل"
لابى محمد الحسين بن مسعود المعروف بالفراء والبغوى المتوفى ٥١٦هـ
الطبعة الاولى ١٣٤٦هـ ـ مطبعة المنار بمصر ـ وهو فى هامش ابن كثير.

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل
لجار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى المتوفى ٥٢٨هـ.
الطبعة الاولى ١٣٤٣هـ ـ المطبعة البهية المصرية .

(٧) التفسير الكبير
لفخر الدين الرازى ابى عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشـــــى
الطبرستانى المتوفى سنة ٦٠٦هـ
الطبعة الاولى ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ـ المطبعة البهية بمصر .

(٨) تفسير القرطبى المسمى " الجامع لا حكام القرآن"
لا بى عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ
الطبعة الاولى ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م - مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٩) تفسير القرطبى
الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م - مطبعة دارالكتب المصرية بالقاهرة.

(١٠) تفسير القرطبى
الطبعة الثالثة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م - دار القلم .

(١١) تفسير البيضاوى المسمى " انوار التنزيل واسرار التأويل"
لناصر الدين ابى الخير عبدالله بن عمر بن محمد بن على البيضاوى
المتوفى سنة ٦٨٥هـ .

(١٢) تفسير النسفى المسمى " مدارك التنزيل وحقائق التأويل"
لابى البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفى المتوفى سنة ٧٠١هـ.

(١٣) تفسير الخازن المسمى " لباب التأويل فى معانى التنزيل"
لعلاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى المعروف بالخازن
المتوفى سنة ٧٤١هـ .
الطبعة الاولى - مطبعة بولاق - مصر .

(١٤) البحر المحيط
لابى عبدالله محمد بن يوسف بن على بن حيان الاندلسى الشهير
بأبى حيان المتوفى سنة ٧٥٤هـ .
الطبعة الاولى ١٣٢٨هـ - مطبعة السعادة بمصر .

(١٥) تفسير ابن كثير المسمى " تفسير القرآن العظيم"
لعماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المتوفى ٧٧٤هـ
تعليق عبدالوهاب عبداللطيف - تصحيح محمد الصديق
الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م - مطبعة الفجالةالجديدةالقاهرة.

(١٦) تفسير الجلالين المسمى "تفسير القرآن العظيم"
للجلالين جلال الدين محمد بن احمد المحلى المتوفى ٨٦٤هـ
وجلال الدين ابى الفضل عبدالرحمن بن ابى بكرالسيوطى المتوفى ٩١١هـ
طبع سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م - مطبعة دار احياء الكتب العربية
لعيسى البابى الحلبى - مصر .

(١٧) السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير
لمحمد بن محمد الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧هـ .

(١٨) تفسير ابى السعود المسمى "ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم"
لابى السعود محمد بن محمد العمادى المتوفى سنة ٩٨٢هـ.
الطبعة الاولى ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م - المطبعة المصرية .

(١٩) تفسير الجمل المسمى "الفتوحات الالهية بتوضح تفسير الجلالين للدقائق الخفية"
لسليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل المتوفى سنة ١٢٠٤هـ.
طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى - بمصر .

(٢٠) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير
لمحمد بن على الشوكانى الصنعانى المتوفى سنة ١٢٥٠هـ .
الطبعة الاولى ١٣٤٩هـ - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - مصر .

(٢١) تفسير الالوسى المسمى "روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى"
لابى الفضل شهاب الدين السيد محمود شكرى الالوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ.
المطبعة المنيرية لمحمد منير الدمشقى .

كتب الحديث :

(٢٢) صحيح البخارى
لابى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى الجعفى المتوفى سنة٢٥٦هـ
تحقيق محمود النواوى ومحمد ابو الفضل ابراهيم ومحمد خفاجى
طبع سنة ١٣٧٦هـ بمطبعة الفجالة الجديدة

(٢٣) صحيح مسلم
لابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى المتوفى ٢٦١هـ
طبع سنة ١٣٣٢هـ - دار الطباعة العامرة - مصر .

(٢٤) سنن ابى داود
لسليمان بن الاشعث الازدى السجستانى المتوفى سنة٢٧٥هـ
تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد
الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م - مطبعة السعادة بمصر .
(٢٥) صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى
الطبعة الاولى ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م - مطبعة الصاوى بمصر .
(٢٦) مسند احمد بن حنبل الشيبانى
المتوفى سنة ٢٤١هـ
بتحقيق احمد محمد شاكر
الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م - دار المعارف - بمصر .
(٢٧) مسند احمد مع منتخب كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال
(٢٨) المستدرك على الصحيحين فى الحديث
لابى عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم المتوفى ٤٠٥هـ
وبذيله " تلخيص المستدرك"
لشمس الدين ابى عبدالله محمد بن احمد الذهبى المتوفى ٨٤٨هـ
مطابع النصر - الرياض .
(٢٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
لنور الدين على بن ابى بكر الهيثمى المتوفى سنة ٨٠٧هـ
طبع سنة ١٣٥٢هـ - بمصر .

كتب شروح الحديث :

(٣٠) فتح البارى شرح صحيح البخارى
لاحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ
تبويب وترقيم محمد فؤاد عبدالباقى
اخراج وتصحيح محب الدين الخطيب
طبع سنة ١٣٨٠هـ - المطبعة السلفية - بمصر .

(٣١) شرح النووى على مسلم
للامام ابى زكريا يحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦هـ
طبع سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م - المطبعة المصرية بالازهر .

(٣٢) تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى
لابى العلى محمد عبدالرحمن المباركفورى المتوفى سنة ١٣٥٣هـ
تصحيح عبدالرحمن محمد عثمان - مطبعة الاعتماد - مصر .

(٣٣) الفتح الربانى لترتيب مسند احمد بن حنبل الشيبانى
لاحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتى
الطبعة الاولى سنة ١٣٧٦هـ .

كتب التاريخ والسير والقصص :

(٣٤) اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار
لابى الوليد محمد بن عبدالله بن احمد الازرقى المتوفى سنة ٢٥٠هـ
تصحيح رشدى الصالح ملحس
المطبعة الماجدية لمحمد كامل كردى - مكة المكرمة .

(٣٥) تاريخ الطبرى
لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم
الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م - دار المعارف - مصر .

(٣٦) تاريخ ابن الاثير
لعز الدين ابى الحسن على بن ابى الكرم محمد بن عبدالكريم
الشيبانى المعروف بابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ .
طبع ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م - دار صادر - بيروت .

(٣٧) تاريخ ابن كثير المسمى " البداية والنهاية فى التاريخ "
لابى الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ
الطبعة الاولى ١٣٥١هـ/١٩٣٢م - مطبعة السعادة - مصر .

(٣٨) تاريخ ابن خلدون المسمى " العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايـــام
العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر"
لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون ابو زيد ولى الدين الحضرمـــى
الاشبيلى المتوفى سنة ٨٠٨هـ
تصحيح وضبط علال الفاسى ،وعبدالعزيز بنادريس

(٣٩) تاريخ ابن خلدون
طبعة قديمة .

(٤٠) العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين
لابى الطيب التقى الفاسى محمد بن احمد الحسنى المكى المتوفى ٨٣٢هـ
مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة .

(٤١) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل
لابى اليمن القاضى مجير الدين الحنبلى
طبع سنة ٩٧٣ ام ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان .

(٤٢) السيرة النبوية
لعبدالملك بن هشام بن ايوب الحميرى المعافرى ابو محمد جمـــال
الدين المعروف بابن هشام المتوفى سنة ٢١٨هـ
تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبدالحفيظ شلبى
طبع ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى ـ مصر .

(٤٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم
للقاضى عياض ابن موسى اليحصبى الاندلسى المتوفى سنة ٥٤٤هـ
طبع بمصـــر .

(٤٤) الوفا بأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم
لابى الفرج عبدالرحمن ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ
تحقيق مصطفى عبدالواحد
الطبعة الاولى ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ـ مطبعة السعادة ـ بمصر .

(٤٥) السيرة النبوية
لابى الفداء اسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ
تحقيق مصطفى عبدالواحد
طبع ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

(٤٦) بهجة المحافل وبغية الاماثل فى تلخيص المعجزات والسير والشمائل
لعماد الدين يحيى بن ابى بكر العامرى المتوفى سنة ٨٩٣هـ
(٤٧) قصص الانبياء المسمى " العرائس " او " عرائس المجالس "
لاحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى المتوفى سنة ٤٢٧هـ
(٤٨) قصص الانبياء
لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ
تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ الطبعة الاولى ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م
مطبعة دار التأليف ـ مصر .
(٤٩) قصص القرآن
تأليف محمد احمد جاد المولى ومحمد ابو الفضل ابراهيم وعلى محمد
البجاوى والسيد شحاتة
الطبعة الثامنة ـ مطبعة الاستقامة ـ بالقاهرة .

كتب اللغة والمعاجم :

(٥٠) المفردات فى غريب القرآن
لابى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى المتوفى ٥٠٢هـ
تحقيق محمد سيد كيلانى
الطبعة الاخيرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر
(٥١) الفائق فى غريب الحديث
لجار الله محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٢٨هـ
تصحيح على محمد البجاوى ومحمد ابو الفضل ابراهيم
الطبعة الاولى ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م ـ دار احياء الكتب العربية
لعيسى البابى الحلبى ـ مصر .
(٥٢) النهاية فى غريب الحديث
لمجد الدين ابى السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف
بابن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ
تحقيق طاهر احمد الزاوى ومحمود محمد الطناحى
الطبعة الاولى ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م دار احياء الكتب العربية لعيسى
البابى الحلبى بمصر .

(٥٣) النهاية فى غريب الحديث
لابن الاثير الجزرى المتوفى سنة ٦٠٦هـ
طبع سنة ١٣١٧هـ بالمطبعة الخيرية للسيد عمر حسين الخشاب بمصر.

(٥٤) لسان العرب
لابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى المتوفى سنة ٧١١هـ
الطبعة الاولى ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م - دار صادر - بيروت .

(٥٥) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى
لاحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى المتوفى سنة ٧٠٧هـ
طبع سنة ١٣٤٢هـ - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - مصر .

(٥٦) القاموس المحيط
للفيروزآبادى لابى طاهر محمد بن يعقوب بن ابراهيم بن فضل الله الشيرازى مجد الدين الفيروز ابادى المتوفى سنة ٨١٧هـ
ترتيب طاهر احمد الزاوى الطرابلسى
الطبعة الاولى ١٩٥٩م - مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(٥٧) المعجم الوسيط
من مطبوعات مجمع اللغة العربية
قام باخراجه : ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد على النجار

(٥٨) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
لمحمد فؤاد عبد الباقى
طبع سنة ١٣٦٤هـ - بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

(٥٩) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى
رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ونسنك وجماعة من الاوربيين
طبعة مكتبة بريل فى مدينة ليدن سنة ١٩٣٦م .

كتب اخرى :

(٦٠) الجامع لمواضيع آيات القرآن الكريم
لمحمد فارس بركات
طبع ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م - المطبعة الهاشمية بدمشق .

(٦١) دائرة معارف القرن الرابع عشر " العشرين "
لمحمد فريد وجدى
الطبعة الثانية ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م - مطبعة دائرة معارف القرن العشرين بمصر .

(٦٢) دائرة المعارف الاسلامية
لفنسك وجماعة من الاوربيين
نقلها الى العربية : محمد ثابت الفندى واحمد الشنتاوى وابراهيم زكى خورشيد وعبد الحميد يونس
طبع ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م - الطبعة الثانية

(٦٣) عمدة التفسير ~~عن ابن كثير~~
~~لابن كثير~~ المتوفى سنة ٧٧٤هـ
تحقيق احمد شاكر
طبع ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م - دار المعارف - مصر .

(٦٤) مجموع فتاوى ابن تيمية
لتقى الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى المتوفى سنة ٧٢٨هـ
جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصى النجدى الحنبلى
الطبعة الاولى ١٣٨١هـ - مطابع الرياض .

(٦٥) ادب الكاتب لابن قتيبة
لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ
طبع سنة ١٣٤٦هـ - المطبعة السلفية - مصر .

(٦٦) تأويل مختلف الحديث
لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ
الطبعة الاولى ١٣٢٦هـ - مطبعة كردستان العلمية - مصر .

(٦٧) لباب النقول فى اسباب النزول
لجلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ
الطبعة الثانية - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - بمصر .

(٦٨) معجم البلدان
لشهاب الدين ابى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومــــى
البغدادى المتوفى سنة ٦٢٦هـ
طبع ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م - دار صادر - بيروت .

(٦٩) التفسير والمفسرون
لمحمد حسين الذهبى
الطبعة الاولى ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م - دار الكتب الحديثة لتوفيــق
عفيفى عامر - القاهرة .

(٧٠) الاعلام قاموس تراجم لا شهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين
لخير الدين الزركلى
الطبعة الثانية

(٧١) دعوة الرسل الى الله تعالى
لمحمد احمد العدوى
طبع ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - مصر .

(٧٢) النبوة والانبياء
لمحمد على الصابونى
طبع ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م - الطبعة الثانية - دار النصر - حلب .

(٧٣) المستشرقون والاسلام
للدكتور حسين الهراوى
الطبعة الاولى ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م - مطبعة المنار - مصر .

(٧٤) الشعر الجاهلى والرد عليه
تأليف طه حسين - ووضع محمد حسين
مطبعة الشباب بمصر .

(٧٥) تحت راية القرآن
لمصطفى صادق الرافعى
ضبط وتصحيح : محمد سعيد العريان
الطبعة الرابعة ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
(٧٦) الكتاب المقدس فى العهد القديم " التوراة"
الطبعة الاولى سنة ١٨٦٧م ـ طبعة نيويورك .

* * *

الفهرســت

الصفحة

الصفحة

الصفحة

* * *
* *
*